الدكتور محمود محمد الجوهري

المراسل الحربي

اقرأ ١٨٤
دار المعارف بمصر

اقرأ ١٨٤ — أبريل سنة ١٩٥٨

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر

الإهداء

إلى الأم المثالية

إلى كل أم فقدت ابنها فى المعارك التى خاضتها مصر دفاعاً عن القيم الخالدة فى تاريخها الطويل . . .

إلى الأم المكافحة التى تعد أولادها ليكونوا جنوداً للوطن . .

إلى أم أولادى :

مدحت ، مرفت ، محيى

أهدى هذا الكتاب

هذا الكتاب

جزء من ثمرة المجهود الشاق المضنى فى :

دراستى فى الشئون العسكرية بالجيش المصرى حتى حصلت على « ماجستير فى العلوم العسكرية » من كلية أركان الحرب المصرية .

دراستى فى « معهد التحرير والترجمة والصحافة » حتى حصلت على « ماجستير فى الصحافة » من كلية الآداب بجامعة القاهرة .

جزء من رسالة « الصحافة العسكرية » التى أعددتها فى ست سنوات وحصلت بها على درجة « دكتوراه فى الآداب » من جامعة القاهرة مع مرتبة الشرف .

جزء من الخبرة الشخصية التى اكتسبتها خلال المدة التى قضيتها فى عضوية مجلس تحرير جريدة « الأهرام » ورئيساً للشئون العسكرية بها .

وفى الواقع أن هذا الكتاب هو أول كتاب يتعلق بدراستى الصحفية والعسكرية معاً .

وقد دفعنى إلى فكرة إصداره ما لمسته من نقص فى هذا

الموضوع خصوصاً فى الحرب الفلسطينية الأولى عام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ التى اشتركت فيها ضابطاً محارباً فى كتيبة البنادق التاسعة التى كانت رأس الحربة فى دخول فلسطين وكان أحد قادتها وأركان حربها ومديرى معاركها الزميل المشير أركان الحرب « عبد الحكيم عامر » نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة والقائد العام للقوات المسلحة للدول العربية المتحدة » .

وما لمسته عندما عملت فى الصحافة المصرية إبان العدوان الثلاثى الغاشم على مصر فى ٢٩ أكتوبر — ١٠ من نوفمبر سنة ١٩٥٦ .

وإيمانى بأنه لم تعد هناك أمة بمعزل عن الحرب ، ولم يعد هناك فرد بمنأى عنها كذلك ، فإن الحرب أصبحت أممية جامعة ، معركة يخوضها الجندى فى ميدان القتال كما يخوضها أى فرد آخر من أفراد الأمة ، وبات من الضرورى أن يكون لكل فرد فى جهاز الأمة دراية بالحرب وتطوراتها وقوانينها وما يمكن أن تكون عليه فى المستقبل .

رأيت أنه أصبح من الضرورى أن يعرف هذا الجيل من شباب اليوم الذى يطلب أفراده العلم فى كل ميدان ، كل شىء عن الحرب خصوصاً عندما يعدّون أنفسهم لأداء ضريبة

الدم يوماً ، سواء فى صورة مقاتلين أو مراسلين للصحف من ميدان القتال .

بهذا الكتاب أكون قد حققت فكرة كنت أتمنى أن تخرج إلى حيز التنفيذ وأنا بين أفراد القوات المسلحة ، وهو اليوم يشعرنى بأنى ما زلت جندياً وإن كنت قد تركت مهنتى الأساسية وافترقت عن زملاء العمر بالقوات المسلحة ولكنى ما زلت معهم بالقلب والروح والقلم .

وحينما أكتب هذا الكتاب أجد لزاماً علىّ أن أقول بأنه ليس بالدليل الوحيد ولا بالسفر الذى يجعل من يقرأه مراسلا حربيًّا أو كاتباً عسكريًّا أو ناقداً للشئون العسكرية فى ميدان الصحافة العامة يستطيع أن يضع تخطيطاً للقسم العسكرى فى الصحيفة ، أو يتولى أمر النشر الحربى ، أو يعمل مراسلا حربيًّا دون تدريب أو تمرين .

وليس هو كذلك محاولة لإيضاح كل ما يتعلق بمهمة المراسل الحربى أو تحديد الموضوعات التى يمكن أن توضع محل الدرس والبحث فى هذا الموضوع .

فإن المراسل الحربى والناقد العسكرى كالقائد فى الميدان ، والقيادة وإدارة الرجال هبة تولد ولا توجد .

لذا لا أستهدف من هذا الكتاب التصوير الكامل النهائى لجميع صور النشر الحربى والقائمين بها ، بل هى محاولة لإيضاح التطور الذى وصلت إليه مهمة المراسل الحربى منذ فجر التاريخ إلى اليوم .

ووضع الأصول والقواعد الأساسية التى ستبقى على مر الأيام حتى لو تغيرت أسلحة القتال .

وقصدت بذلك أيضاً أن يكون هذا الكتاب هو المقدمة لكل من يعمل فى محيط الصحافة والحرب .

وأن يكون المدخل للدراسات العسكرية والصحفية ، ودعامة يبنى عليها كل من يعمل فى محيط الصحافة العسكرية دراسات أخرى أعمق وأبعد مدى وأثراً مقرونة بالخبرة والتجارب الشخصية .

والله ولىّ التوفيق

القاهرة فى أول أبريل سنة ١٩٥٨

المؤلف

محمود محمد الجوهرى

دكتور بكباشى أركان الحرب

تمهيد

« المراسل الحربى هو الجندى المجهول الذى
يؤدى وظيفته بين الحديد والنار »

من أهم مبادئ الحرب التى لم تتغير منذ القدم مبدأ السرية كما أن أهم الأمور الجوهرية فى الصحافة هى الإذاعة والنشر. من هنا يتضح لنا أنه ليس فى استطاعة القوانين أن تقرب بين هذين الأمرين المتناقضين إلا إذا استمد كل طرف من الآخر العون مع حسن النية والإدراك السليم ، لذا فإن القيادة العامة وهيئة أركان الحرب تجد أمامها دائماً عملا من أشق الأعمال حينما تريد أن تضع تعليمات يسترشد بها الكاتبون الحربيون.

فإن من الصعوبة بمكان أن تمتنع الصحافة ويمتنع الجمهور فى الأوقات العصيبة وفى الأزمات الشديدة عن توجيه الأسئلة التى كان من المستحسن عدم توجيهها فى هذه الآونة أو من الإلحاح فى طلب معلومات يتعارض نشرها مع الظروف السياسية كل التعارض..

ومن واجب المراسل الحربى دائماً وبصفة خاصة ألا ينسى

أن أية عبارة تنشر فى صحيفة دون مراعاة أقصى درجات التبصر والحكمة قد تؤدى إلى نتائج عسكرية خطيرة فى حين أنها قد تظهر ضئيلة وقت نشرها ، فإن البيان الذى ينشر بغير تبصر وحذر أو الذى ينشر فى وقت غير ملائم قد يكون له من التأثير السيئ ما لا يمكن إصلاحه مهما صدر فى تكذيبه من بيانات ومهما اتخذ من الإجراءات لإبطال تأثيره بعد أن ظهر مطبوعاً .

إن السلطات العسكرية لتدرك كل الإدراك أهمية عامل الزمن عند الصحافة حينما تكون العمليات الحربية آخذة مجراها فى الأوقات التى لا بد لكل شيء فيها أن يسابق الزمن ، وغالباً ما يحدث فى أحرج الظروف أن يعترى الأعصاب وهن من تأخير الأنباء التى تتسبب فيه الرقابة الحربية فى الميدان حتى ولو كانت منظمة أحسن تنظيم ، وقد يزداد هذا التأخير حتى يصبح تضييقاً لا يحتمل ، فعلى المراسلين فى مثل هذه الأوقات العصيبة أن يذكروا أنه يجب أن تعرض رسائلهم على الرقابة التى يقوم بها ضباط قد يكونون مرهقين بالأعمال ومتعبين كالمراسلين تماماً ، فضلا عن ذلك فهم ضباط يعلمون أن هفوة واحدة قد تؤدى إلى نتائج خطيرة للجيش ولهم بصفة شخصية فيما يختص بمستقبلهم العسكرى ، فلتكن الصراحة التامة

من جهة والحذر المقرون بالولاء من جهة أخرى ثم التعاون المتبادل في أداء المهمة العظيمة التي تقرب من القداسة وهي مهمة قيادة الرأي العام وتوجيهه توجيهاً سليما في أوقات الأزمات القومية أهم ما يهدف إليه المراسلون الحربيون .

وتعتبر القوات العسكرية أن مراسلي الصحف العربية والأجنبية ومصوريها هم ممثلو الصحافة ، كما تعتبر الفنانين ورجال الإذاعة والسينما من رجال الصحافة أيضاً ، وكذلك كل من يعمل في تداول الأخبار العسكرية ونشرها سواء بالبرق أو بالبريد أو بالسينما .

والصحافة العسكرية هي التي حملت وما زالت تحمل العبء الأول في نشر المعرفة بين صفوف الجند وربط العقول برباط من توارد الخواطر وتداعي المعاني ودفع الأيدي التي تكيف الأسلحة إلى ترويض الأقلام وإغراء الأنظار التي ترقب العدو إلى الإقبال على المطالعة .

وأثر الصحافة في الجيش من الآثار الواضحة التي لا ينبغي أن تغفل من تاريخه شأنها شأن المواقع التي خاضها والقواد الذين عبروا به ميادين الأحداث ، فإن مرآة نهضة الجيش لا تلوح في قوة أسلحته أو نوع معداته أو طريقة تدريبه أو شخصية

رجالاته بقدر ما تلوح فى صحفه ومجلاته فهى المعيار الذى تقاس به حقيقته ومبلغ احتماله .

والصحافة العسكرية ليست مقصورة على الصحف والدوريات التى تصدرها القوات المسلحة على اختلاف أنواعها لضباطها وجنودها فقط بل هى أعمق من هذا بكثير لأنها تشمل كل ما يتعلق بالشئون العسكرية من ناحية النشر سواء فى الصحف العسكرية أو المدنية وتمد العسكريين والمدنيين على السواء بالأخبار العسكرية فى وقت السلم وفى وقت الحرب ، وهى ليست المادة الفنية البحتة التى تهم أفراد القوات المسلحة فحسب بل هى الأخبار العسكرية التى تهم عامة الشعب .

تعتبر الأخبار العسكرية أهم ما ينشر فى الصحف المدنية فى وقت الحرب وللقيام بهذا الواجب نجد جهازاً خاصًّا يؤهل للقيام بمهمة الحصول على الأخبار العسكرية والتعليق عليها ، وهنا تظهر أهمية المراسل الحربى والناقد العسكرى والمعلق على الأخبار العسكرية فضلا عن الرقابة العسكرية على الصحف التى تستلزمها سلامة الدولة وأمنها .

ويقضى النظام الحديث فى جميع صحف العالم بتكوين مجالس للتحرير تتكون من رؤساء التحرير ويضم إليهم مدير

التحرير أو رؤساء الأقسام إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، ويختص هذا المجلس برسم سياسة الجريدة ويقرر طريقة معالجة كل موضوع وكل حديث وينبغى أن يكون بكل جريدة عضو فى هذا المجلس للشئون العسكرية حتى يضع السياسة التى يقوم عليها القسم العسكرى فى الجريدة خصوصاً فى وقت الحرب ، ويتكون القسم العسكرى فى الصحف الكبرى عادة من رئيس لقسم الشئون العسكرية يسمى Chief Military Editor ومحرر عسكرى وناقد حربى ومعقب على الأخبار العسكرية ومندوب أو مخبر عسكرى ومراسل حربى أو مراسلين حربيين .

المحــرر العسكرى
Military Editor

هو المحرر العلمى الحربى الذى يقوم بترجمة وتبسيط المعلومات الحربية والعسكرية والخطط والنظريات الحربية والاكتشافات إلى لغة سهلة سليمة يفهمها القارئ العادى والجندى المحدود المعلومات .

النــاقد الحربى
Military Critic

هو الذى يقوم بنقد الخطط الحربية والشئون العسكرية فى الجريدة وليس هناك ما يمنع من أن يقوم بهذا العمل المحرر

العسكرى إذا كانت خبرته وسمعته فى المحيط الحربى لها اعتبارها أو كان صاحب عقلية عسكرية لها وزنها وقيمتها عند أولى الشأن من رجال الحرب .

المعقب على الأخبار العسكرية

Military Commentator

يتولى التعقيب على الأخبار العسكرية متخصص عسكرى ذو خبرة، وقد لا يكون التعقيب نقداً وإنما تعليقاً على مجريات الأمور العسكرية ، وهو عادة يكتب جزءاً من عمود فى الصحيفة يخصص لهذا الغرض وهو ما يسمى فى الخارج Columnist .

المندوب أو المخبر العسكرى

Miltary Reporter

هو مندوب الجريدة فى وزارة الحربية أو القيادة العامة أو الدوائر العسكرية الأخرى، وهو المخبر الذى يداوم على الاتصال بالقوات العسكرية وإدارة الشئون العامة للقوات المسلحة لنقل الأخبار التى تخص هذه الجهات إلى الجريدة وهو يمارس هذا العمل بموافقة السلطات العسكرية العليا ، وهو الذى يقوم بعمل الريبورتاجات عن استعراضات القوات المسلحة ومناوراتها السنوية وحفلاتها المختلفة .

المراسل الحربى

Military Correspondent

هو المندوب الذى يرسل إلى ميدان القتال فى مهمة خاصة أثناء الحرب ، وهذه الوظيفة لا توجد إلا فى حالة الحرب ، وهى موضوع هذا الكتاب .

وهذا النظام لا تتبعه أغلب الصحف إلا فى وقت الحرب عندما تكون الشئون العسكرية هى أهم ما يشغل الرأى العام فتميل بعض الصحف لأن يكون المندوب العسكرى والمراسل الحربى ضمن قسم الأخبار الخارجية خصوصاً إذا كان المندوب العسكرى أو المراسل الحربى متجولا فى ميدان القتال ، وتضع بعض الصحف المعلق العسكرى والمحرر العسكرى فى قسم خاص يطلق عليه « المعلقون » وهو يشمل المعلق السياسى والفنى والاقتصادى والعسكرى وفى وقت السلم تكتفى أغلب الصحف بأن يكون لها محرر عسكرى ومندوب بالقوات المسلحة .

ومن المستحسن أن توكل هذه الوظائف والأعمال إلى من جمع بين الثقافتين الصحفية والحربية ، ويؤدى هذا العمل بكفاءة كل من ضباط الاحتياط والضباط الذين انتهت خدمتهم العاملة وأحيلوا إلى المعاش .

ولما كان العمل الذى يقوم به المراسل الحربى من أهم الأعمال الصحفية فى وقت الحرب وجدت أنه من الأفضل أن أبدأ بإخراج هذا الكتاب عن المراسل الحربى ليسد فراغًا فى المكتبة العسكرية والمكتبة الصحفية .

إن الإلمام بأعمال المراسلين الحربيين أصبح أمرًا ضروريًّا فى الوقت الحاضر للمدنيين والعسكريين على السواء ، فالرجل المدنى الذى يكلف بالقيام بمهمة كهذه وثيقة الصلة بالقوات المسلحة يجب أن يعرف كل ما يتعلق بها من مهام حتى لا يقع فى أخطاء تسبب له متاعب جمة عندما يعمل فى المحيط العسكرى ، كما أن العسكريين الذين يتعاملون مع الصحفيين الذين يقومون بهذه المهمة يجب أن يلموا إلمامًا تامًّا بكيفية التعامل مع المراسلين الحربيين فى الميدان .

لذا حاولت فى هذا الكتاب أن أوضح — على قدر الإمكان — المعلومات الضرورية التى يجب أن يعرفها المدنيون من رجال الصحافة والعسكريون من رجال الحرب .

تطور مهمة المراسل الحربى

« إن دور المراسلين الحربيين جزء من هيئة أركان حربى »
أيزنهاور

عرفت مصر « الصحافة العسكرية » منذ خمسة آلاف عام تقريباً قبل أن تعرفها أية دولة فى العالم ، وكانت الصحف العسكرية فى عهد الفراعنة تنقش على الحجر من وجهين وتوزع شهرياً على قادة الجيش وطليعة الحكام ، وكانت مجموع نسخها تصل إلى المائة ، وقد عثر على بعض هذه الصحف وقد حلّيت هامتها بصورة الفرعون الأكبر « مينا » ومن حوله لفيف من الأسرى قطعت رءوسهم ووضعت بين أقدامهم ، واشتملت بعض موادها على أنباء المعارك وذكريات القادة وأحداث الجنود، ولم ينسوا أن يبرزوا فيها لوناً من ألوان التعبير الرمزى الذى تنتهجه اليوم صحافة القرن العشرين ، بأن رسموا ثوراً ينطح قلعة ، كناية عن انتصار الملك على أعدائه ، وكان قادة الجيش فى عهد الأسرة السادسة القديمة يقومون بمهمة المراسل الحربى ، ومثل هذا المراسل الحربى لم يكن يسجل مقالاته على الورق لأن الورق لم يكن قد استخدم بعد ، وإنما

سجلها كأسلافه على الحجر فى طائفة من النقوش التى خلفها على أشتات من الآثار .

ومن أهم النقوش تلك التى كانت فى عهد الملك « مرن رع » و « تحتمس الثالث » والتى كانت تدوّن على القبور بأسلوب روعى فيه الدقة والإيجاز ، وأى زهو يداخل المرء وهو يتنقّل بين جدران معبد مدينة « هابو » فى العاصمة المصرية القديمة « طيبة » فينسترجع فى ذاكرته معارك « رمسيس الثـــالث » كأنها حدثت بالأمس القريب . إن جدران هذا المعبد تحمل وصفاً لتلك الحروب الغابرة التى صارت اليوم ذكرى نعيش على أمجادها السوالف ، مثلما يعيش الابن على تراث آبائه وأجداده .

ولقد كانت معاهدة الصلح والصداقة التى وقعها رمسيس بعد معركة « كادش » مع أعدائه الحيثيين وسجلها على الأطلال بكافة نصوصها أقدم معاهدة عرفها التاريخ منذ الفجر البعيد .

ولم يكن هذا النشاط الصحفى وقفاً على أسرة أو حاكم دون حاكم فقد كانت نهجاً يقتدى به الملوك والقادة ، فبطون المعابد وجدران القلاع فى طيبة وممفيس وهليوبوليس وأبيدوس تحكى قصص انتصاراتهم مثلما تفعل الآن الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية .

ولو قدّر لأجدادنا الأوائل الذين مررنا عليهم دون أن نذكرهم ، أن تخلد آثارهم من بعدهم ولم يأكلها العدم فصارت اليوم خرابًا أو أحجارًا ، وطالعنا الصورة الأصلية التى أخذ عنها الملوك الأحداث الذين تهيأ لنا أن نتجوّل فى معابدهم ونقفوا أثرهم لسرنا مع التطور الذى لازم أفكارهم ولردمنا الفجوة التى تفصل بيننا وبينهم ، لقد جعلوا النقوش تنطق والرسوم تتحرك والكلمات ترتعش ، ومن دراسة النقوش واقتفاء الرسوم والإصغاء للكلمات يتتبع المؤرخ بوضوح أدوار المعارك كأنه يشاهدها اليوم فى إحدى دور السينما ، وكانت النتيجة لأعمال المراسلين الحربيين فى ذلك الوقت هى ما سجلوه فى صحف ذلك العهد التي كانت تسجل على البردى والجلد والطين .

صحف من طين

عثر فى مدينة « نينوى » عاصمة دولة آشور التى عاصرت الأسرات المصرية من الثانية والعشرين إلى السادسة والعشرين على ما يسمى « مطبوعات الجيش » وهى عبارة عن منشورات وتقارير ضمن الألواح الطينية المجففة ، وقد ألقت هذه الصحف ضوءًا وهاجًا على عصر الملك « آشور بانيبال » وغزوه لمصر ،

كما عددت تفاصيل الحروب الآشورية وأساليبها ، فضلا عن الرسائل التى تبودلت بين قادتها وملوكها .

البردى والجلد

لم يغفل المصريون عندما تقدم الزمن بهم أن يستخدموا البردى والجلد فى نشر أفكارهم وآرائهم ، فأعدّوا نشرات دورية من البردى وأخرى شهرية من الجلد توزّع على ذوى الشأن والحيثية من رجال الدولة ، وقد احتوت نسخ من هذه الصحف والمجلات أنباء على درجة قصوى من الأهمية تتناول أحداث الحرب ومقدرة الجيش وتنقلات القادة .

إن مثل هذه المواد التى نشرت من مئات السنين تماثل إن لم تطابق مايبعث به المراسلون الحربيون لصحفهم فى عصرنا المتقدم .

وهذا ما يؤكد لنا أن الصحافة العسكرية بصفة عامة والمراسل الحربى بصفة خاصة من الموضوعات القديمة التى لا يخامرنا أدنى شك فى أنها ليست حديثة العهد كما يتوهم البعض أو يعلق بأذهان الآخرين ، فهى وليدة قرون وقرون ، وقد أدركت أهدافها وأغراضها أقدم الأمم حضارة وإن كانت بصورة أو بأخرى — تتفاوت عما هى عليه اليوم فى عصر الذرّة .

تختلف الصحف بعضها عن بعض فى أى الأقسام يلتحق المندوبون العسكريون ، هل يلحقون بقسم الأخبار الخارجية ، أم بقسم التحرير ، أو يكون لهم قسم خاص للشئون العسكرية كما ذكرنا ، وذلك لأن طبيعة هذه المهمة الصحفية تتحدد عندما يقع حادث عسكرى هام يستدعى ندب مندوب خارجى إلى مسرح الحادث .

حرب القرم
(١٨٥٣ ـ ١٨٥٥)

مهمة الأخبار العسكرية وغيرها ترجع إلى قرن مضى من الزمان ، عندما بدأت حرب القرم (١٨٥٣ ـ ١٨٥٥) وقد أرسلت الصحف الإنجليزية مراسلين لكى يوافوها بأنباء هذه الحملة ، وكانت هذه الحملة أول ما عرف من تاريخ هذا النوع من المهام الصحفية ، ثم توالت الحروب وتوالى إرسال المندوبين ، ولم تكن السلطات العسكرية تعترف بهم ، بل كانت فى كثير من الأحيان تنظر إليهم نظرة ريب شديدة بوصفهم جواسيس أو يسهل أن يؤثر عليهم جواسيس الأعداء ، واقتضى هذا التفكير أن لا تقدم لهم السلطات العسكرية أية تسهيلات من أى نوع .

الحرب الأهليـــة الأمريكية
(١٨٦١ — ١٨٦٤)

لقد كانت الحرب الأهلية الأمريكية أول حرب ظهر فيها المراسلون الحربيون بالمعنى الصحيح وقاموا بنقل الأخبار العسكرية بالوسيلة المتوفرة آنذاك ، وقد جاء فى تاريخ الـ « A. P. » (الأسوشيتدبرس) الكثير من الموضوعات التى تدور حول نقل الأخبار العسكرية ونشرها ورقابتها العسكرية التى استخدمت لأول مرة فى هذه الحرب .

كان الموقف متوترًا بين الشماليين والجنوبيين ، ولم تبدأ الحرب من واشنطن ولكن على بعد عدة أميال إلى الجنوب ، وكانت الساعة الرابعة والنصف من صباح ١٢ من أبريل عام ١٨٦١ حينما شاهد مندوب «الأسوشيتدبرس » فى « شارلستون » قنبلة تنطلق عبر الميناء إلى قلعة الشماليين « فورت سومتر » وبعد مضى ثانية أجابت القلعة بإلقاء طلقاتها عبر الماء ، وأرسل أول برقية عن الصدام المسلح وأبلغ عن تسليم القلعة بعد ذلك بمدة ٣٤ ساعة وكتب « بنيت » فى نيويورك افتتاحية محررة فى سطر واحد « لقد بدأت الحرب الأهلية » .

ولم يكن « كريج » مدير الأسوشيتدبرس لديه أية خبرة سابقة بطريقة جمع أنباء التحركات العسكرية ، وكان عليه أن يتعلم ذلك بطريق التجربة والخطأ ، وكان عدد المخبرين الصحفيين المدربين قليلا ، وكانوا قد اختيروا على أساس قدرتهم على استعمال جهاز التلغراف ، ولكن المواقع الحربية لم تكن تجرى فى أفنية مكاتب البرق .

وأعلن « جو برايت » عن الأسوشيتدبرس أن مهمته هى نقل الحقائق والوقائع كما هى وليس له أن يعلق عليها أو يتخذ أى الجانبين فى الصراع ، وعلى الجرائد التى يبيعها أنباءه أن تحررها بالطريقة التى تريدها .

وأخذ « كريج » ينظم مجموعة المراسلين الحربيين لمصاحبة الجيوش الشمالية فى الميدان ، وكان المرء يشاهد فى الميدان مجموعة من الشبان بعضهم حليق وبعضهم مطلق لحيته و... ، كان كل منهم يحمل مهمات الميدان وهى مسدس ومنظار مكبر ودفتر صغير وبطانية وأوعية طعامه وحصان وكانت تتراوح مرتباتهم بين ١٠ ، ٢٥ دولاراً فى الأسبوع ، أما المراسلون المهمون فى واشنطون ولويز فيل فكانوا يتقاضون ٣٥ دولاراً .

وبدأ المراسلون الخاصون يوقعون بأسماء مستعارة أو يبدأونها من مراسل الأسوشيتدبرس وكانت البرقيات فى العادة مقتضبة تذكر الوقائع باختصار على أن تتبعها القصة كاملة من شاهد عيان بعد يوم أو أكثر ، وغالباً ما كان المندوبون فى الجبهة الشرقية يجدون أنه من الأنسب أن يستقلوا القطار بعد المعركة مباشرة ويكتبوا قصتهم أثناء الطريق إلى نيويورك أو أى مدينة يوجد بها مكاتب برق ، وكانوا فى بعض الأحيان يرسلون قصصهم عن طريق رسل يركبون الخيل يهرعون بها عدة أميال حتى يصلوا إلى أقرب مكتب للبرق .

أما فى الجبهة الغربية ، فكانوا يعتمدون على سعاة البريد الحربى أو مكاتب البريد لنقل القدر الضئيل من الأنباء التى تسمح بها المخابرات الحربية .

وفى عام ١٨٦٢ بدأت عربة غريبة الشكل يجرها جوادان تتبع الجيش فى تقدمه ، وكان فيها « ماتيورب برادى » الذى كان يحمل فى العربة غرفته السوداء لجمع أنباء المعارك المصورة ، وقد اضطر إلى ذلك لأن التصوير الفوتوغرافى فى ذلك الوقت كان يستلزم تحميض الصور بعد لقطها بمدة خمس دقائق على الأكثر ، وللأسف لم تظهر تلك الصور فى الصحف إذ ذاك ،

لأن تلك الأخيرة لم يكن لديها استعداد لطبعها .

وكان المراسلون فى ذلك الوقت العصيب حريصين على السبق الصحفى لدرجة أنهم لم يكونوا ليكتفوا بمحاولاتهم للحصول على أحدث الأنباء ، بل كانوا يحاولون أن يستبقوا الحوادث بإرسال أنباء التحركات المتوقعة ، وبذلك كانوا يخدمون القوات الجنوبية المعادية ، فقد ثبت أن قصصهم كانت تقدم لرئاسة جيش الجنوبيين تقارير كاملة عن تحركات خصومهم والاطلاع على خططهم ، وحتى على خرائطهم الحربية ، فى حين أن الموقف فى الجنوب كان على عكس ذلك ، فكانت هناك وكالة رسمية تجمع أنباء الحرب وتعرضها على السلطات المختصة التى تنتقى منها ما ينشر فى الجرائد وتمنع نشر ما تعتبره أسراراً حربية .

ولم يقف خطر المراسلين عند هذا الحد ، بل إن الكثيرين منهم بلغت بهم الحماسة درجة كبيرة حتى إنهم كانوا يعلقون على الأنباء تعليقات خاطئة واعتبروا أنفسهم خبراء فى الاستراتيجية العسكرية ، فراحوا ينتقدون أى ضابط يبدى فى الميدان آراء لا تتفق وآراءهم مما أثار حفيظة القائد « وليم شيرمان » الذى لم يكن يخفى احتقاره لهؤلاء المراسلين ، فأجاب هؤلاء بالتغالى

فى السخرية منه لدرجة أن أحدهم وصفه بقوله : « لشيرمان تصرفات الهنود الحمر » وحينما وبخه القائد على ذلك ، أعلن فى جريدته اعتذاره . . . . للهنود الحمر .

وثار الصحفيون لأن « شيرمان » يمنع عنهم الأنباء ، فقد كان يعطيها لاثنين فقط من المراسلين الذين يثق بهم ، وهما « تايلر » مندوب الأسوشيتدبرس و « هنرى فيلارد » وكان شيرمان مهموماً دائماً لأنه شعر بأن الحرب ستطول وستكون مدمرة ، فأخذ المراسلون يعلقون على منظره المهموم فى أنبائهم ويصفونه بأنه متعب عقلياً ، ووصلت تلك الأنباء إلى السلطات فى واشنطن ، فأعفت « شيرمان » من منصبه ولم ترحمه الصحافة — حتى بعد ذلك — فكتبت مقالا فى ١١ من ديسمبر عام ١٨٦١ فى جريدة « سنسناتى كوميرشيال » بعنوان الجنرال « وليم ت شيرمان » مجنون ، وعاد شيرمان بعد عدة شهور ليتبوأ مركزه كأكبر شخصية عسكرية فى تلك الحرب ، ولكنه لم يغتفر أبداً للصحافة قصة جنونه الكاذبة ، لدرجة أنه عندما أبلغ بعد عامين بأن ثلاثة من المراسلين يعتبرون مفقودين فى المعركة ، قال بسخرية مريرة — شامتاً فيهم — « حسناً ، ستصلنا البرقيات فى الصباح من الجحيم » .

ورغم أن رجال « الأسوشيتدبرس » لم يكن لهم أى دخل فى تلك المعركة الصحفية ، إلا أنهم قاسوا مع جميع المراسلين من جراء معاملة الضباط الجافة والعدائية لهم حتى نهاية الحرب ، فقد ضوعفت الصعوبات التى وضعت فى طريقهم ، وأشيع عن جميع المراسلين أنهم لا يتوخون الصدق فى أنبائهم .

حروب السودان

وفى حروب السودان ظهر المراسلون الحربيون بكثرة فرافق حملة « هكس » فرانك باور (Frank Power) مراسل جريدة « التيمس » (Times) وقد أصيب بالدوسنطاريا وتخلف عند الدويم واستمر فى مرافقة الحملة « أودونوفان » (O. Donovan) مراسل جريدة « الديلى نيوز » (Daily News) وقتل فى معركة سنكات عام ١٨٨٣ .

أما فرانك باور فقد قتل أثناء حصار غردون فى الخرطوم عام ١٨٨٣ وبعد وفاته نشر أخوه رسائله .

وفى عام ١٨٨٤ ظهر مع الحملة مراسل حربى فرنسى يدعى « أوليفر بين » (Oliver Pain) وقد تمكن من التسلل إلى معسكرات المهدى ولكنه مات أثناء الزحف من الأبيض إلى الخرطوم .

وفى حملة النيل عام ١٨٨٤ — ١٨٨٥ ظهر مراسل حربى لجريدة « الديلى نيوز » (Daily News) يسمى « بيرز » (Pearse) الذى اشترك أيضاً فى حملة « دنقلة » .

وفى عام ١٨٩٦ ظهر فى حملة « دنقلة » واسترجاع السودان مراسل آخر علاوة على « بيرز » يسمى « نايت» (Knight C.T.) وكان مراسلا لجريدة التيمس ومراسل أمريكى اسمه « جاريت» (Garett) وقد مات فى وادى حلفا عام١٨٩٦ وكان مراسلا لجريدة « نيويورك هيرالد » (New York Herald) .

وقد اشترك « تشرشل » فى هذه الحملة مراسلا لجريدة « مورننج بوست » (Morning Post) رغم معارضة « كتشنر » فى تعيينه وإصراره على العمل دون مرتب أو تعويض فى حالة الإصابة أو القتل ، وقد قبل « تشرشل » هذه الشروط وسافر إلى هناك وحضر معركة « أم درمان » آخر معركة فى التاريخ للهجوم بالحربة (Lancer) الذى قامت به «الفرقة ٢١ للحراب» .

حرب البوير

(١٨٩٨ — ١٩٠٢)

اشترك فى الحرب « ونستون تشرشل » كمراسل ، وقبل أن يمضى شهرين فى جنوب أفريقيا أسر ، ولكنه فرّ من الأسر ،

وكانت قصة هربه أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة ، وكان يمثل جريدة « مورننج بوست » (Morning Post) مرة أخرى .

الحرب الإيطالية الطرابلسية
(١٩١١ — ١٩١٢)

ظهر المراسلون الحربيون بشكل واضح فى هذه الحرب ، ومن أشهر المراسلين الذين اشتركوا فى هذه الحرب « بنيت » Benett وجرانت مراسل « الديلى ميرور » . ورافق الحملة أيضاً صحفى إنجليزى يدعى « فرانسيس ماكيولا » (Frances Macula) وكان مراسلا لعدة صحف إنجليزية وأمريكية ، كما رافقها مراسل حربى ألمانى يدعى « فون جوتنبرج » ومراسل نمساوى يدعى « هرمان دنول » ولم تقتصر كتاباتهم على الأنباء العسكرية بل تعدتها إلى ذكر فظائع الإيطاليين ضد السكان .

حرب البلقان
(١٩١٣)

كتب اللورد « برايس » المحرر الأول لجريدة « الديلى ميل » والصحفى المشهور يصف أول مهمة عسكرية قام بها ، وكانت أثناء حرب البلقان ، قال إنها اقتضت أن يحمل معه إلى الميدان

حملة كاملة من البغال والجياد والخدم والخيام وطباخ ومترجم ، وقال إنه شحن هذه المهمات فى عربتين من عربات السكة الحديد ، فإذا تخيلنا كيف يمكن أن يتحرك صحفى بمثل هذا الحمل ، لعلمنا كم كانت الصعاب الشاقة تعترض مهمة المندوب العسكرى فى ذلك الوقت .

الحرب العالمية الأولى
(١٩١٤ ـ ١٩١٨)

ولما جاءت الحرب العالمية الأولى لم يتغير الموقف بالنسبة للمندوبين العسكريين بل رفض « كتشنر » أن يسمح لهم بالوصول إلى ميادين القتال ، ولكن بعد وفاته تغير الموقف قليلا ، فما كادت الحرب تنتهى حتى ظهر هؤلاء المندوبون فى أكثر جبهات القتال من الجانبين ، وربما كان لتأييد السلطات الأمريكية العسكرية دخل فى هذا السماح بعد المنع البات .

الحرب العالمية الثانية
(١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)

وقدرت الحكومات بعد هذا أن طبيعة الحروب الحديثة تقتضى أن تكون الجبهة الداخلية سليمة متماسكة لا تفككها الشائعات الكاذبة ، وأنه لا سبيل لتحقيق هذا الغرض إلا

بإتاحة الفرص لعدد من الصحفيين كى يصاحبوا حملات القتال ويدرّب هؤلاء تدريبًا خاصًّا بحيث تأمن السلطات العسكرية جانبهم ويتمكنوا فى نفس الوقت من تغذية الصحف بالأنباء الصحيحة التى تقوى الجبهة الداخلية ولا تفيد العدو فى شىء ، ولهذا ما أن جاءت الحرب العالمية الثانية حتى كان أمر المندوبين العسكريين من المسائل المقررة ذات النظام الثابت ، وشهد الجميع بفائدتها تلك الفائدة التى لا يتطرق إليها أى شك ، وقد قال الرئيس الأمريكى « أيزنهاور » حينما كان قائدًا لجبهة الحلفاء : « إن دور المراسلين الحربيين جزء من هيئة أركان حربى » ، وقبل معركة العلمين جمع «مونتجمرى» الصحفيين قبل المعركة بثلاثة أيام وعزلهم عن الاتصال الخارجى بالعالم وشرح لهم تفاصيل هذه المعركة التى كان يتوقف عليها مصيره ومصير الشرق الأوسط بأجمعه .

الحرب الكورية
(١٩٥١)

وفى الحرب الكورية ظهرت طوائف المراسلين العسكريين بأعداد كبيرة وصلوا إلى ٢٠٠ فى وقت من الأوقات على صغر هذه الحرب ، وللمرة الأولى ظهرت فتاة صحفية فى هذا الميدان

تؤدى نفس المهمة التى يؤديها غيرها من المراسلين الرجال ، وفقد وجرح فى أثناء العمليات عشرات من هؤلاء الرجال المندوبين ولم تكن بينهم هذه الفتاة .

هذه لمحة سريعة عن تاريخ المراسلين العسكريين فى الخارج ، نستطيع أن نتبين منها أن المراسل العسكرى أمين على جيش بلاده وأنه مزوّد بكل الوسائل التى تكفل له أداء مهمته من حرية إلى اتصال مباشر بضباط الشئون العامة فى جبهات القتال إلى مواصلات سريعة إلى تهيئة وسيلة للإقامة على النحو الذى يتهيأ فى ميادين القتال .

ولنسأل الآن ، ما هو مركز مصر ومركز الصحافة المصرية من هذا النوع من النشاط الصحفى ؟ فقد حدث فى الخمسين سنة الأخيرة حربان عالميتان ولم يظهر لنا مراسل حربى واحد فى جبهات القتال على الرغم من أن القتال كان فى الحرب العالمية الأولى على حدودنا الشرقية وفى الحرب الثانية على حدودنا الغربية .

وحدثت فى الحبشة عام ١٩٣٦ حرب هامة تأثر بها الشرق الأوسط كله عندما غزا « موسولينى » القطر الشقيق ، ولو أن المندوبين من كل مكان من أطراف الأرض ظهروا فيها إلا أنه

لم يظهر على مسرح الحوادث مصرى واحد وإن كانت بعض الصحف المصرية فى ذلك الوقت دأبت على نشر رسائل شابتها المبالغة الشديدة ، وكانت تصنع فى المكاتب ، حتى لقد قدرت إحدى الصحف عدد القتلى من الجيش الإيطالى بثلاثة أمثال الجيش الإيطالى كله ، وقبل الحرب العالمية الأخيرة فكرت وزارة الحربية المصرية فى إنشاء نظام للمراسلين الحربيين المصريين ، وكان هذا تفكيراً سليما فقد عنيت باختيار عدد من الصحفيين وألبستهم ملابس عسكرية ودربتهم تدريباً خاصاً ولكن ما لبث هذا النظام أن ألغى بمجرد قيام الحرب ، مع أن الحاجة كانت تقضى بأن يستمر هذا النظام ، فكان ميدان ليبيا مثلا يغص بالمندوبين من كل مكان ولم يظهر بينهم مصرى واحد ، وذلك اعتماداً من الصحف على نشرات الأنباء البرقية التابعة لدول الحلفاء وبعض المقتطفات من محطات الإذاعة .

وأغلب الكتب العسكرية أو المراجع التاريخية فى الحروب كذلك فى السياسة تعتمد فى مادتها على مصادر كثيرة منها المراسلين الحربيين الذين ظهروا بشكل واضح وبكثرة فى الحرب العالمية الثانية بالذات علاوة على أنباء الإذاعة والصحف والتصريحات الرسمية للقادة .

الاعتداء الثلاثى الغاشم على مصر
(٢٩ أكتوبر – ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٦)

قام بعض الصحفيين المصريين بالعمل فى ميدان القتال فى منطقة القنال وبور سعيد كمراسلين حربيين .

كذا ظهر مراسل حربى رافق حملة الغزو الغادرة على مصر هبط مع قوات المظلات من الجو فى مطار « الجميل » ببور سعيد وكتب يصف المعركة ، وهو مراسل جريدة « الديلى ميرور » الإنجليزية واسمه « بيتر وودز » وكان أول مراسل هبط مع الجنود البريطانيين ، وهو قطعاً إما من جنود المظلات أو درّب على هذا العمل للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، وكان يكتب من غرفة العمليات الجراحية التى كانت نوافذها تتطاير تحت شظايا القنابل .

ولا يمكن تعداد ما قام به المراسلون الحربيون فى الحروب المختلفة ، ولا ذكر أسمائهم ، فمنهم من اشتهر ووصل إلى القمة فى حياته الخاصة مثل « تشرشل » الذى كان مراسلا حربياً فى حرب السودان وجنوب أفريقيا .

وقد ظهر فى الحرب العالمية الثانية مراسل جوى كتب

الكثير فى وصف المعارك والغارات الجوية ، وهو « لوسيان هبارد » الذى له صفحة مجيدة فى تاريخ الحرب عن فلسفة فذة لقائد ممتاز هو الكولونيل « كارلسون » والمغيرون على طريقة « العمل معاً » وما كتبه « جون ستانبيلك » وهو روائى شهير ومراسل حربى وبحرى يصف الحياة على ظهر ناقلة جنود عبر فيها المحيط إلى إنجلترا .

وما كتبه « جون هيرس » عن آخر مغارك المدمرة « بورى » وهو عبارة عن التحام مدمرة أمريكية بغواصة ألمانية ، وقد تلقى « جون هيرس » علومه فى جامعتى «بيلك» و «كامبردج» وقبل أن يبلغ الثلاثين صار مراسلا لمجلتى « تايم » و « لايف » أى قبل اشتغاله مراسلا حربياً بست سنوات ، وقد اشتهر بعد نشوب الحرب بتصويره الرائع للمعارك التى تقع فى كلتا الجبهتين الكبيرتين ، ومن أروع الأعمال التى قام بها مراسل حربى هو ما كتبه « ألكسندر كليفورد » المراسل الحربى الشهير الذى ألف كتاب « ثلاثة ضد رومل » ، « رومل ثعلب الصحراء » الذى نشرته جميع صحف العالم .

كذا الأعمال التى قام بها « بوليا كوف » المعلم السياسى الذى رافق فرقة الجنرال « جالتسكى » وكان مراسلا حربياً

لجريدة « كرسنا يازيفذدا » وكان هذا المراسل ممن حاربوا الفنلنديين الوطنيين وأنعم عليه بنيشان العلم الأحمر ، ورغم أنه كان جريحًا فى مؤخرة « الفاشيست » ، إلا أنه كان يؤدى مهمته التى كلفته بها القيادة العامة ، وكان يكتب يوميا لجريدته ، وقد كتب هذا المراسل عن معارك الجنرال « جالتسكى » فى أوائل الحرب عندما اشتبكت مع المصفحات الألمانية وأرغمتها على التقهقر وكبدتها خسائر تقدر بحوالى ٢٦٥ عربة بنيران المدفعية .

وكتب عن حصار الألمان للقوات الروسية ، وكيف أمكن الجنرال « جالتسكى » من فك حصار الثلثين من جنوده المحاصرين بعد أن كبد العدو خسائر فادحة ثم كتب عن الحرب بين أدغال وغابات « بيبلوروس » السوفيتية وكيف حارب جنود السوفييت بلا هوادة ليل نهار حتى أوقعوا فى قلوب عدوهم الرعب وأنزلوا بكتائب الفاشيست الخسائر الفادحة فى الأرواح علاوة على شجاعة الجيش الأحمر فى محاربة الألمان .

وتعتبر كتابات هذا المراسل الحربى الروسى من أحسن الموضوعات التى كتبها مراسل حربى فى الحرب العالمية الثانية .

ومن أشهر المراسلين والمعلقين على الأنباء الحربية « جون جنتر » وهو كاتب مشهور ومؤلف زار مناطق القتال فى أفريقيا

وأوروبا وأضاف برحلته هذه فصلا جديداً إلى سجل الحوادث العالمية ، وقد استطاع مع شهرته الصحفية أن ينال شهرة واسعة بتعليقاته على الأنباء فى الصحف والراديو ، ومن أهم ما كتبه وصفه « جزيرة اسنشن » وهى الصخرة العاتية فى جنوب الأطلنطى والتى قالت عنها التقارير الحربية التى كتبت فى وصف هذه الجزيرة إنها صخرة عاتية لو حاول الغرب أن يهبط إليها لاندقت ساقه ، وما كتبه المستر « ديك » عن قصة قائد أمريكى لطائرة مقاتلة .

ومن أشهر المراسلين والمعلقين الحربيين المعاصرين معلق حربى أمريكى مشهور هو « هانس بلدوين » الناقد الحربى لجريدة « نيويورك تايمز » وقد زار مصر فى ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وفى أثناء هذه الزيارة زار الخطوط الأمامية فى غزة .

هذه كلمات مختصرة عن تطور مهمة المراسلين الحربيين على مر العصور .

قواعد وتعليمات للمراسلين الحربيين

« فى كل العلاقات التى تسود بين الجيش وممثلى الصحف فى الميدان لابد من الاعتراف بالمبدأ الذى اتفق عليه بأن للمراسل الحربى المعتمد الحق فى أن يعامل معاملة الضباط فى كل الأحوال إلى أن يصدر منه ما يدعو إلى عدم جدارته بهذه الثقة »

هناك قواعد عامة تطبقها القوات العسكرية فى مختلف الدول على المراسل الحربى فى الميدان كى يتمكن من أداء واجبه ، وهى قواعد يجب على كل من يعمل فى محيط الصحافة العسكرية الإلمام بها قبل أن يصبح مراسلا حربيًّا .

الخدمة العسكرية الإجبارية .

التصريح بمرافقة القوات المسلحة فى الميدان كممثل للصحافة لا يعفى صاحبه من الخضوع للخدمة العسكرية الإجبارية أو لأية خدمة حربية أخرى ولا تلتزم الدولة بأية التزامات للفرد الممنوح له التصريح ولا للصحيفة أو الجريدة أو الوكالة أو أية هيئة أخرى يمثلها الفرد إلا فى حدود ما هو مفصل فى القوانين التى تصدرها ، وكل مندوب صحفى يطالب للخدمة العسكرية الإجبارية يترك عمله كمندوب صحفى فوراً .

الالتزامات المفروضة على
المراسل الحربى

عندما يصرح لمندوبى الصحف بمرافقة القوات المسلحة فى الميدان أو لمندوبى الإذاعة أو لشركات الأنباء ، عليهم أن يعرفوا الالتزامات التى تفرض عليهم فى مثل هذه الظروف وهى تتلخص فى الآتى :

● الامتثال لكل القوانين التى تطبق من وقت لآخر على ممثلى الصحافة الذين يرافقون القوات فى الميدان .

● الإذعان إلى القواعد التى يضعها والأوامر التى يصدرها القائد العام للقوات المسلحة بواسطة مدير الشئون العامة للنشرات العامة ومدير المخابرات الحربية للنشرات العسكرية .

● الامتثال لأى أوامر تصدر من سلطة عليا والإذعان لما تقضى به قوانين الجيش أو قوانين البحرية أو القوات الجوية والتى تطبق على كل شخص حائز لدرجة ضابط مع الخضوع لقانون الأحكام العسكرية المعمول به .

● يجب اجتناب كل الأعمال التى تضر بسلامة القوات المسلحة للدولة أو رفاهية الجنود أو روحهم المعنوية أو أية قوة

متحالفة أو متعاونة معها .

● لا يجوز للمراسل الحربى لأى دولة أن يلتحق بقوات أى دولة أخرى بصفته مندوباً صحفياً إلا بموافقة دولته ويكون ذلك من اختصاص وزير الحربية .

التصريح بمرافقة القوات العسكرية في الميدان

الموافقة على مرافقة مندوبى الصحافة لقوة عسكرية فى الميدان من اختصاص وزارة الحربية وتصدر هذه الموافقة عادة بعد أخذ رأى القيادة العامة للقوات المسلحة وإدارة المخابرات العامة بعد التشاور مع إدارة الجريدة أو غيرها من هيئات الإدارة المختصة ونقابة الصحفيين وكل شخص تعطى له رخصة مندوب صحفى بالميدان تعطى له صورة من القوانين التى سيعامل طبقاً لها ويوقع عليها .

خسائر المراسلين الحربيين

خسائر المراسلين الحربيين فى ميدان القتال تعامل معاملة الضباط من حيث التصرف والإخلاء وتخطر بها وزارة الحربية التى تبلغها إلى نقابة الصحفيين أو الهيئة الصحفية المختصة ،

كما يعالج المراسلون الحربيون طبيًّا نفس المعالجة التى يحصل عليها الضباط أثناء مرضهم أو إصابتهم بالقدر الذى تسمح به الظروف والأحوال فى الميدان .

شكاوى المراسلين الحربيين

المراسل الحربى الذى يرى أن له وجهاً للشكوى يعرض شكواه على مدير الشئون العامة أو من ينوب عنه الذى عليه أن يحقق مبدئيا فى الشكوى وإذا رأى بعد ذلك أن الأمر يحتاج إلى عرضها على سلطة أعلى قام بعرضها وإذا كانت الشكوى من الأمور الهامة جاز تحويلها إلى وزارة الحربية للمخابرة مع إدارة الجريدة أو الوكالة أو نقابة الصحفيين أو أى هيئة أخرى تكون مختصة .

كيفية التنقل والعمل فى ميدان القتال

يمنح المراسلون الحربيون الأماكن التى يتيسر وجودها فى معدات النقل أو فى مواصلات القوات البحرية أو الجوية أو قطارات الجنود ، غير أنه لا يجوز بحال من الأحوال قبول طلبات تعويض عن التأخير أو فقد متاع حتى إذا دعت الظروف إلى إنزال المندوب الصحفى من وسيلة النقل أو من

القطار قبل إتمام سفريته ، وفى مقابل ذلك تدفع الأجور العادية ما لم ينص على غير ذلك ، وإذا كان مصرحاً لهم بالسفر بمعدات نقل الجيش فى أية صورة كانت بما فيها الطائرات ، يطلب إليهم أن يوقعوا على استمارات استخدام هذه الوسائل ، وطلب ذلك يكون مبكراً لعمل حساب حجز المحلات لهم قبل السفر بمدة كافية ويسمح لهم عادة بحمل أمتعة فى الميدان تختلف باختلاف الظروف قد تصل إلى مائة كيلوجرام فى العادة .

متى يكون المراسل الحربى عرضة للوقف أو الحجز

مندوبو الصحافة مكلفون بإبراز رخصهم وتصريحات مرورهم متى طلب منهم ذلك أى ضابط أو ضابط صف أو جندى يكون مشرفاً على نقطة أو حرساً أو داورية أو متى طلب منهم ذلك البوليس الحربى فى الميدان ، والمندوب الصحفى الذى لا يبرز رخصته أو تصريح مروره — متى طلب منه ذلك على الوجه السابق بيانه — يكون عرضة للوقف أو الحجز ، وفى مثل هذه الحالة يجب التبليغ عنه فى الحال من قبل السلطات العليا المحلية إلى مدير الشئون العامة أو من ينوب عنه ، فيباشر على الفور اتخاذ التدابير اللازمة للتحقق من شخصيته ، كما يجب

على المندوبين الصحفيين أن ينفذوا على الفور أية تعليمات تصدر إليهم من قبل أى شخص من الأشخاص السالف ذكرهم أثناء قيامهم بواجباتهم ، وإذا كان لدى المراسل الحربى أو المندوب الصحفى أى وجه للشكوى فى هذا الخصوص فيجب عليه أن يقدمها — فيما بعد — إلى مدير الشئون العامة أو من ينوب عنه .

الضباط كمراسلين حربيين

من المبادئ المقررة فى نظام المراسلين الصحفيين فى العالم أنه لا يسمح لأى ضابط فى الجيش العامل أو الاحتياطى أو الإقليمى أو الحرس الوطنى وكل من يشغل وظيفة ضابط بالقوات المسلحة بمختلف فروعها وأسلحتها وما يتبعها من القوات المتطوعة مادام يستولى على ماهية كاملة ولا لأى شخص يشغل وظيفة رسمية مهما كانت بالحكومة بأن يرافق أية قوة فى الميدان بصفته مندوباً صحفياً . أما الضباط المتقاعدون الذين يعملون كمندوبين للصحف فلا يصح لهم أن يذكروا رتبهم العسكرية فى مكاتباتهم للصحف .

سجل المراسلين الحربيين

تسجل أسماء المراسلين الحربيين وتقيد رخصهم بسجلات خاصة بكل من إدارة الشئون العامة والمخابرات الحربية ومصلحة

الاستعلامات وتسحب هذه الرخص إذا رأى ذلك القائد العام لقوات الميدان .

المدة التى يمكثها المراسل الحربى فى الميدان

يبقى المراسل الحربى أقل زمن ممكن مع أى قوة بالميدان ، حسبما تحدده القيادة العامة للقوات المسلحة ولا يجوز للمراسل الحربى أن يستغنى عن رخصته إلا بموافقة القائد العام لقوات الميدان ، وفى حالة سحب الرخصة أو الموافقة على الاستغناء عنها ، يرحل المندوب الصحفى من مسرح العمليات بأسرع فرصة تسمح بها ضرورات الخدمة ، على أنه للقائد العام بالميدان أن يحجز مثل هذا المراسل فى حدود الساحة التى تحصل فيها الرقابة طوال المدة التى يراها مناسبة ، كما له أن يعين الطريق التى يسلكها ذلك المندوب فى العودة إلى بلده .

معسكرات الصحفيين

السيطرة على المراسلين الحربيين من اختصاص مدير الشئون العامة ، وهو يعتبر القائد العسكرى للمراسلين الحربيين ، وهو أو من يمثله ، توجه إليه كل المخاطبات الخاصة بالشئون

الرسمية لهم ، ويتولى الإشراف على معسكرات الصحفيين متى كان من الضرورى وجود معسكرات من هذا القبيل ، وهو مسئول عن حفظ النظام وكل التدابير الإدارية التى لها اتصال بمعسكر الصحفيين .

الزى الرسمى للمراسلين الحربيين

يرتدى المراسلون الحربيون المعتمدون الزى الرسمى الذى يأمر به وزير الحربية ، وهو عبارة عن ملابس تشبه ملابس الميدان للقوات التى يعملون معها دون علامات الرتب ، ومحظور عليهم ارتداء الملابس المدنية أو العادية أثناء تواجدهم فى ميدان القتال ، كما أنه محظور عليهم حمل الأسلحة فى مسرح الحرب .

ولا يجوز للمندوب الصحفى — بأى حال من الأحوال — أن يثير مناقشة مع أى شخص من الأشخاص السالف ذكرهم ، وهم المفروض عليهم أنهم يعملون بناء على التعليمات التى يتلقونها من السلطات العليا ، كما لا يجوز للمراسل الحربى أن يزور الساحات الأمامية أو الخلفية فى ميادين القتال إلا إذا كان مصحوبًا بضابط مرشد أو إذا كان حاصلا على إذن كتابى صادر من مدير الشئون العامة أو من ينوب عنه ، وذلك الإذن لا بد أن يبين فى وضوح وجلاء المناطق المراد زيارتها ، كما لا بد من إبرازه عند الطلب بنفس الشروط الخاصة بالرخص .

بداية التراخيص ونهايته

الرخصة التى تمنح للمراسل الحربى يتسلمها من الجهة الرسمية المختصة وهى عادة إما إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة أو مصلحة الاستعلامات وهى لا تبيح له إلا الذهاب إلى القاعدة « قاعدة العمليات الحربية » وهناك يتلقى التعليمات من مدير الشئون العامة أو من ينوب عنه ، ولا يسمح له أن يكون مراسلا حربيًّا إلا بعد موافقة مدير المخابرات الحربية بالتشكيل .

وبعد انتهاء العمليات الحربية يقدم القائد العام لقوات الميدان تقريراً إلى وزير الحربية عن كل مراسل حربى اشترك فى العمليات الحربية وكل من سمح له بالاستقالة من عمله كمراسل حربى أو سحبت منه رخصته قبل انتهاء الحملة ، وهذه التقارير تحفظ بإدارة الشئون العامة مع سجلات المندوبين الصحفيين الذين منحوا ترخيصاً للعمل بالميدان

التأمين على حياة المراسلين الحربيين

جرى العرف أن الجريدة أو وكالة الأنباء التى يعمل المراسل الحربى لحسابها فى الميدان تقوم بالتأمين على حياة المراسل الحربى ضد أخطار الحرب قبل قيامه بعمله كذا يتقاضى المراسل الحربى فى مثل هذه المهمة راتباً مضاعفاً على الأقل بالنسبة لما يتقاضاه فى الظروف العادية .

كيف يحصل المراسلون الحربيون على مادتهم

« المراسل الحربى أمين على جيش بلاده »

يحصل المراسلون الحربيون على مادتهم من النشرات العامة التى تصدرها القيادة العامة لقوات الميدان ، وتقوم بتوزيعها إدارة الشئون العامة على الصحف بالقاعدة أو مندوبو الشئون العامة بالتشكيلات على المراسلين الحربيين ، ومن المؤتمرات الصحفية التى تعقدها القيادة العامة للقوات المسلحة سواء فى القاعدة أو القيادة العامة لقوات الميدان فى ميدان القتال ، ويمكن لهم زيارة الجنود فى الميدان ، وهم أحرار فى الذهاب حيث يكونون فى منطقة القتال طالما هم مصحوبون بضابط من إدارة الشئون العامة إذا سمحت حالة العمليات الحربية بذلك .

وغالباً ما يضع القادة ثقتهم فى المراسلين الحربيين بأقصى درجة ممكنة عالمين بأنها ثقة فى موضعها وأنهم سيحترمونها فيطلعونهم على كل شىء فيما عدا الأسرار التى يتحتم كتمها ، مثل الخطط الحربية والنوايا والأسلحة الحديثة والتكتيكات الجديدة .

للمراسلين الحربين نفس المنزلة الرسمية للضباط ، وهم خاضعون للقانون العسكرى كالضباط تماماً ، على أنه ليست

لهم سلطة الضباط التنفيذية ، كما لهم الحرية فى التحدث مع الجنود أينما أرادوا بشرط موافقة الضابط المرشد أو أى ضابط آخر يكون موجوداً مع أولئك الجنود ، ويطلب إليهم الامتناع عن المناقشة مع الجنود فى الشئون السياسية وعن التحدث مع الجنود القائمين بالعمل أو القائمين بالحراسة ، وعن المناقشة فى الموضوعات السرية .

الموضوعات الممنوع الإشارة إليها فى تقارير المراسلين الحربيين

هناك موضوعات ممنوع الإشارة إليها يجب أن يعرفها المراسلون الحربيون ، ومن المستحيل وضع إيضاحات مرشدة مستديمة عن هذه المادة ، وذلك لأن الكشف الذى يوضع لبيانها قد يتأثر بتطورات الموقف فى حالات معينة ، وفى نفس الوقت ، يمكن تحديد أهم الأشياء التى لا يجب أن يذكر شىء عنها فى تقارير المراسلين الحربيين منها :

- الأسلحة التى تتألف منها تشكيلات الجنود وأماكنها .
- تفصيلات التحركات العسكرية بالبر والبحر والجو .
- أوامر العمليات الحربية بأنواعها .
- الخطط والعمليات المزمع إجراؤها .

- الخسائر والإصابات .
- أسماء الأماكن والتشكيلات والوحدات ، ولا مانع من ذكر وحدات مثل ، مدفعية مشاة فرسان . . . إلخ .

وبوجه عام يجب ألا ينشر أو يوصف أى موقع أو مواقع محتلة أو ستحتل تكون لها قيمة عند العدو ، ولا يذكر شىء عن وصف الاستحكامات أو التحدث عنها .

وعلى أى حال هناك بعض قواعد لإرشاد ممثلى الصحافة وهى قابلة للتغيير عن الموضوعات التى يجب عدم الإشارة إليها بدلا من أن تعرض على الرقيب الحربى وتكون عرضة للمنع وتعطيل أعمالهم الصحفية منها :

- تفاصيل المعارك — المصطلحات والرموز العسكرية — المقالات المحرفة — نقد الأشخاص — الخسائر — أسماء الضباط .
- إذاعة أى أخبار عن أسلحة جديدة أو أسلوب تكتيكى حديث .
- يجب ألا تنشر الصور أو الرسومات والخرائط إلا إذا ووفق عليها بواسطة المخابرات الحربية بعد أن تختم طبعات الصور المصدق عليها ويوقع على ظهرها الضابط المسئول عن رقابة الصور فى الفرع المختص سواء فى القوات البرية أو البحرية أو الجوية .

● لا يجوز أن ينشر أى مقال فيه آراء شخصية بها أى محاولة للتكهن بالحوادث الحربية المستقبلة .

● لا يجب الإشارة إلى الاصطلاحات الكودية أو المعانى الخفية أو شيء يسبب اليأس أو الفزع للقوات المحاربة أو المدنيين .

ولا يمكن أن يحدد بالضبط الموضوعات التى يجب أن يراعيها الصحفيون عند كتاباتهم لأخبارهم فهذه دائمة التغيير تختلف من ظرف إلى ظرف ومن حرب إلى حرب وتصدر فى وقتها حسب مقتضيات الأمور والأحوال ، ومهما كانت التعليمات الصادرة إلى الصحف لتلافى نشر الأخبار غير المرغوب فى نشرها فإن وجود الرقيب العسكرى يجعلهم يتجاوزون عن اتباع التعليمات اعتماداً منهم على أن قلم الرقيب هو الذى سيحدد الموضوعات التى لا يجب نشرها .

ولا يصح الاعتقاد بأن المسئولية تقع وحدها على الرقيب فقط ، بل هى مسئولية مشتركة بين الرقيب والناشر .

كيفية نشر الأنباء العسكرية بالصحف

أوضحت كيف يحصل المراسلون الحربيون على مادتهم ، أما كيفية توصيل هذه المعلومات للصحف فيمكن إجمالها فيما يلى :

● كل الأنباء المراد نشرها بالصحف أو إذاعتها بالراديو

أو التليفزيون تقدم إلى مدير الشئون العامة أو من ينوب عنه الذى يرسلها بدوره إلى المخابرات الحربية بالتشكيل الذى يتبعه قسم للرقابة ، وهى تحرر عادة من ثلاث نسخ ، وبعد مراقبتها تعاد منها نسختان فى الحال إلى مدير الشئون العامة أو من ينوب عنه فيرسلها بأول وسيلة تتيسر من وسائل النقل ، إما بوسائل مواصلات الجيش أو بطريق الجو — إن وجد — أو بأى وسيلة خاصة للمواصلات تتوفر للصحافة أو تكون خاصة بها .

● الرسومات الكروكية والصور الفوتوغرافية والأفلام والشرائط المسجلة لا يسمح لمندوبى الصحف بأخذها إلا بإذن ، وإذا أعطى لهم الإذن ، يحظر عليهم إرسالها للنشر فى أية صحيفة أو وكالة أنباء أو أية هيئة غير التى يمثلونها .

● الإذن بأخذ صور فوتوغرافية أو كروكية أو أفلام يسحب من صاحبه إذا رأى القائد العام لقوات الميدان ذلك ، وإذا أخذت فهى على أى حال تكون خاضعة للرقابة .

● يجب تسليم الصور الكروكية والفوتوغرافية وكذا السلبيات والأفلام إلى الضابط المنوط بالصحافة فى الميدان الذى عليه أن يتخذ التدابير اللازمة لمرورها على الرقيب ثم إرسالها إلى عناوينها الخاصة .

● المكاتبات الخصوصية التى يرسلها مندوبو الصحف

تخضع للرقابة بنفس الطريقة التى تراقب بها المكاتبات الخصوصية التى يرسلها الضباط والجنود فى ميدان القتال إلى ذويهم وهى على أى حال ترسل عن طريق وحدة بريد الميدان .

الإقرار الذى يقدمه المراسل الحربى
قبل مباشرته عمله فى الميدان

قبل أن يباشر المراسل الحربى عمله فى الميدان يقدم إقراراً يتضمن أنه اطلع على القوانين الخاصة بمندوبى الصحافة المرافقين للجنود فى الميدان وأنه يتعهد بالإذعان لكل القوانين التى تطبق من وقت لآخر فى الميدان على مندوبى الصحف ولكل الأوامر التى يصدرها رئيس هيئة أركان الحرب العامة بواسطة رئيس مراقبى الميدان أو من ينوب عنه، وكل القوانين العسكرية التى تطبق على الضباط فى الميدان، وأن يمتنع عن سلوك أى طريق أو عمل أى شىء فيه مضرة بسلامة القوات المسلحة أو برفاهيتهم أو بقواهم المعنوية أو جنود أية دولة محالفة أو متعاونة ، كذا يتعهد بعدم الالتحاق بجنود أية دولة أخرى بغير إذن من وزارة الحربية بصفته صحفيا أو بأية صفة أخرى مدة دوام الحرب .

ويوقع المراسل الحربى على هذا الإقرار من نسختين ترسل إحداهما إلى مدير المخابرات أو من ينوب عنه للقوات المختصة

وتحفظ الأخرى بوزارة الحربية فى إدارة الشئون العامة .

ويمكن ابتكار نموذج يحوى هذه البيانات حسب مقتضيات الظروف والأحوال عندما تدعو الحاجة إليه .

المراسل الحربى الفنى أو المتخصص

« المراسل الحربى الرسام هو فنان الحرب »

تطورت الفنون الحربية وأصبح المراسل الحربى العادى غير قادر على الإلمام بجميع أسلحة الحرب وفنونها وتكتيكاتها ، وأصبحت القوات البرية فى حاجة إلى مراسل متخصص يفهم خصائصها من مشاة إلى مدرعات إلى مدفعية ثقيلة ومتوسطة وإلى مهندسين عسكريين بالقدر الذى يستطيع معه أن يعرف كيفية الإشارة إليها فى كتاباته ، وتبسيط هذه المعلومات للقراء من مدنيين وعسكريين .

المراسل الحربى الجوى

كما أن القوات الجوية تقدمت تقدماً كبيراً ، فالمراسل الحربى الجوى لابد وأن يلم بخصائص الطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل الثقيلة والمتوسطة والطائرات النفاثة وناقلات الجنود والقوات

المنقولة والهابطة بالمظلات والتصوير الجوى بالقدر الذى يمكنه من تتبع العمليات الجوية وطريقة مساعدتها للقوات البحرية والبرية وضرب الأهداف ونقل المعدات والتصوير الجوى ، وكذا الإلمام بمواقع الطائرات وأراضى النزول وغيرها من المعلومات التى يحتاج إليها عندما يحتاج الأمر لوصف غارة جوية أو معركة فى الجو .

المراسل الحربى البحرى

أما المراسل الحربى البحرى فأصبح عمله صعباً ، فهو لا بد وأن يلم بطريقة العمل فى البحرية وأنواع الأساطيل البحرية والمدمرات والغواصات وكاسحات الألغام وحاملات الطائرات وغيرها ، وكيفية عملها والتسليح الموجود بها وكيفية تعاونها مع القوات الأخرى فى العمليات المشتركة بين القوات البحرية والبرية والجوية .

المراسل الحربى الفنى

ولا تقتصر وظيفة المراسل الحربى على القوات الثلاثة فقط ، بل قد يكون هناك مراسل حربى للحرب الكيميائية وحرب الميكروبات والحرب الذرية والهيدروجينية ، وهذا لا يمنع أن يكون المراسل الحربى العادى ملما إلماماً عاما بمعلومات عن

جميع الأسلحة فى الجيش والبحرية والطيران تمكنه من الكتابة العامة وتفهم النشرات والبلاغات الرسمية التى قد تعطى له من القيادة العامة بالميدان .

المراسل الحربى الرسام

لا يقتصر عمل المراسل الحربى على نقل الأخبار العسكرية من ميدان القتال إلى الصحف فى القاعدة لنشرها على الجمهور ، بل ظهر فى الحرب العالمية الثانية نوع آخر من المراسلين الحربيين الذين يرافقون القوات العسكرية وهو المراسل الحربى الرسام ، أو كما يسمونه « فنان الحرب » .

وقد ظهر هذا النوع من المراسلين للمرة الأولى فى حرب السودان ، فقد ظهر ممثل لجريدة « الديلى نيوز » اسمه « فيتالى » وهو رسام جرافيك ، وقد مات المراسل الحربى الذى كان معه فى معركة « دنقلة » أما هو فقد نجا بأعجوبة وعمل جريدة للسودان تكلم فيها عن حوادث غوردون وعن نفسه كمراسل وكتابه ملىء بالصور .

وقد اشتهر فى الحرب العالمية الثانية فنان حرب آخر هو الكابتن « اليوزباشى » « إدوارد بادون » وقد تخصص « إدوارد » قبل التحاقه بالجيش فى الفنون الجميلة والرسم وكان أول من

انضم إلى الحملة البريطانية فى فرنسا مع « بارنت فريد مان » و « إدوارد أرديزون » وقد أبدع فى تصوير كثير من مناظر الجيش وشخصياته بالريشة والماء والألوان ، وقد تحرك مع الحملة البريطانية خلال عام ١٩٤٠ ، وعند الانسحاب ظل إلى آخر لحظة يرسم مناظره ، وكان أروع ما عمله هو رسمه لميناء « دنكرك » نفسها .

وعاد سالماً إلى إنجلترا ، وبعد شهور قليلة ذهب إلى الشرق الأوسط ليلتحق بالجيش المحارب هناك ، ومكث حوالى سنتين عمل خلالهما كثيراً من اللوحات الجميلة الجذابة التى تتعلق بالحرب فى كل من مصر وليبيا والسودان والحبشة وأريتريا وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية ، وعاد إلى وطنه فى صيف عام ١٩٤٢ ، ولكن عودته إلى وطنه لم تكن طبيعية فقد كانت الرحلة العادية فى ذلك الوقت تستغرق شهرين حول رأس الرجاء الصالح ، إلا أنه تعرّض للضرب بالطوربيد أثناء وجوده بالمركب التى تقله فى جنوب الأطلنطى وأخذته قوات « فيشى » الفرنسية إلى « كازابلانكا » وأنقذته بعد خمسة أيام من ضرب المركب التى كان يركبها بالطوربيد فى قارب صغير ، وقد خسر فى هذه الرحلة جميع ملابسه وبعض الهدايا التى كان يحملها من

الشرق كالطرابيش و بعض أغطية الرأس الأخرى ، وللأسف الشديد أنه فقد فى هذه الرحلة جميع اللوحات التى رسمها خلال رحلاته هذه .

ولم يعد إلى وطنه إلا بعد أن غزت القوات الأمريكية « كازابلانكا » وفى الواقع أن الأعمال التى كان يقوم بها « إدوارد باودن » هى عبارة عن أعمال الترفيه والذكريات للجنود والضباط ، إلا أن هذا العمل كثيراً ما ينشر فى الصحف ليعبر عن معانٍ خاصة أو لنشر صور لبعض القادة .

ولا يشترط فى المراسل الحربى الرسام أن يكون ضابطاً مجنداً ومكلفاً بخدمة عسكرية خاصة كما كان « إدوارد باودن » بل يجوز لأى فنان أو رسام يرغب فى مرافقة القوات المسلحة فى الميدان أن يؤدى هذا العمل طالما تتوفر فيه الشروط التى تنطبق على المراسل الحربى الصحفى ، أما المدنيون من الرسامين والفنانين فلا بد لهم من الحصول على تصريح لاعتماد نشر هذه الصور والرسوم قبل السماح بإرسالها للصحف أو المجلات سواء كانت هذه الصحف عسكرية أو مدنية .

وعادة إذا توفر بين الضباط من يقوم بهذا العمل فقد يترك للضباط على أن تتولى إدارة الشئون العامة إمداد الصحف بهذه الصور والرسوم .

الملحق العسكرى كمراسل حربى

لقد أدرك كبار القادة — من زمن بعيد — أن نجاحهم فى الحروب رهن بقيمة ما يصل إليهم من المعلومات عن أعدائهم وصحتها ، ومن أجل هذا كان الاهتمام بأخبار الدول المجاورة ومشروعاتها الحربية وحال قواتها المسلحة أمراً واضحاً جليًّا فى كل العصور ، فإذا نشبت الحرب أديرت العمليات الحربية وفقاً للمعلومات التى وصلت للدول من عيونها وعملائها السريين الذين تطلق عليهم اسم « مخبرين » إذا كانوا لها ، وتدعوهم « جواسيس » إذا كانوا عليها ، وليس مغالياً إذن من يقول إن تاريخ الحروب ليس إلا تاريخ الجاسوسية ، فإذا وضعت الحرب أوزارها وكان السلم ، استمر نشاط هؤلاء العيون المنبثين للدولة فى بلاد جيرانها أو أصدقائها المتربصين أو المحتمين لكى يقوموا بموالاة التحرى والتقصى والاستعلام والاستخبار فى جميع المسائل ، سياسية أو اقتصادية أو حربية أو سيكولوجية أو طبوغرافية ، ويوافوا بها دولتهم أولا بأول لكى تكون على تمام الأهبة أو على الأقل لا تؤخذ على غرة ، وها نحن نقرأ فى أنباء كل يوم تلك المحاولات التى تبذل فى سبيل الكشف عن سر

الأسلحة الذرية والهيدروجينية والأشعة الكونية والصواريخ الموجهة والاحتياطات التى تتخذ لإحباطها من جانب آخر ، وهى حرب متصلة بين العملاء السريين من الجانبين لا تتكشف لها إلا فى صورة بعض الضحايا الذين يقبض عليهم بين آن وآخر .

ولما كان العلم العسكرى يتجدد ويتقدم ، فإن الحروب تتطور دائماً ويتسع معهاميدانالمخابراتالعسكرية وتصبح واجبات المراسل الحربى أكثر تعقيداً بصوره مستمرة ، فلا عجب إذا كانت الحرب العالمية الثانية قد ضاعفت عددهم وأبرزت بأجلى بيان الحاجة الماسة للمعلوماتالدقيقةالمفصلةالتى تمتإلىالاستعلامات العسكرية بصلة ، فواجب المراسل الحربى جمع المعلومات العسكرية مع ما يلابسها من المعلومات السياسية والاقتصادية .

ومن أهم مصادر المعلومات التى تنقل إلى الدول سواء للنشر أو للعلم فقط فى وقت الحرب « الملحقون العسكريون المحايدون » فلقد كان الملحقون العسكريون الأجانب فى لندن أبان الحرب العالمية الثانية ينقسمون إلى قسمين : المحايدون والحلفاء .

الملحقون العسكريون المحايدون

وكان القسم الأول يشمل تركيا وسويسرا والسويد ومصر وأسبانيا والبرتغال والأرجنتين ، فلما تقرر زيارة ميادين القتال

فى نورماندى عام ١٩٤٤ عقب الغزو بقليل سافر المحايدون جميعاً دون الملحق العسكرى الأرجنتينى ، فلما احتج على هذا الاستثناء لم يحصل على جواب ، فرجع إلى وزيره المفوض الذى قدم احتجاجه إلى وزارة الخارجية البريطانية ثم طلب أن يستدعى الضابط إلى بلاده عندما وجد أن الاعتذار ليس فيه الترضية الكافية ، وتفسير هذه المسألة — على ما أعلم — هى أنه لم تكن للأرجنتين علاقات طيبة بالولايات المتحدة فى ذلك الوقت ، وكان الملحقون العسكريون المحايدون يرتدون دائماً الملابس المدنية إلا عند دعوتهم لزيارة منشأة أو منطقة عسكرية أو إذا طلب إليهم ذلك لمناسبة معينة .

الملحقون العسكريون الحلفاء

أما الملحقون العسكريون الحلفاء ، مثل الملحق العسكرى الروسى أو الأمريكى أو البولونى أو التشيكوسلوفاكى أو البرازيلى أو العراقى أو الإيرانى أو الهولندى أو البلجيكى أو اليوغوسلافى أو الفرنسى أو غيرهم ، فقد كانوا دائماً فى ملابسهم العسكرية وكانوا يقومون بدور أكثر نشاطاً من غيرهم ويصادفون تسهيلات أوسع مدى .

ولقد زاد عدد الملحقين العسكريين الحلفاء فى لندن أضعافاً

مضاعفة إلى جانب ما لهم من البعثات الدائمة والمؤقتة ، ويكفى أن أقول إن الملحق العسكرى الأمريكى ومساعديه كانوا أكثر عدداً من كل ملحقى الدول الأخرى محايدين ومحاربين مجتمعين .

رقابة الحقائب الدبلوماسية

وكان نشاط الملحقين المحايدين ، كما أسلفت ، محدوداً ، فهم لا ينتقلون من لندن إلى الشمال أو الجنوب إلا بعد الرجوع إلى السلطات صاحبة الشأن ، أى قسم الاتصال بإدارة المخابرات العسكرية ، وذلك لأن التعليمات التى صدرت فى ذلك الوقت كانت تنص على ذلك فهى تقول بعد الديباجة :

« توفيراً لسبل الراحة فى هذا الوقت الذى تقل فيه الراحة فى الانتقال ولكى يتمكن الملحق العسكرى من التوجه إلى المكان الذى يبغيه فى سهولة ويسر ، نرجو الاتصال بنا فى حالة انتقالكم من لندن . . . إلخ » .

ولقدأخضعت الحكومة الحقائب الدبلوماسية للرقابة قبل الغزو ثم أعادت حرية التراسل إلى ما كانت عليه بعد ذلك بوقت قصير .

السبق والصدق

أما القاهرة فلم تشهد ملحقين عسكريين أجانب إلا فى

نهاية الحرب ، فلقد اعتمدت الولايات المتحدة لها ملحقاً عسكريا هو « بونار فيالرز » وكان لبرقيته عن سقوط طبرق عام ١٩٤٢ أثر مدوّ استرعى الإعجاب للسبق والصدق ، فقد كان « تشرشل » يحادث الرئيس « روزفلت » عن موقف «طبرق» وما يعلقه عليها من آمال فى الثبات ، وإذا بالرئيس الأمريكى يفاجئه بالخبر الذى لم يكن قد وصل إلى مسامعه بعد ، ولعل هذا ما حدا بالولايات المتحدة إلى النظر بعين الاهتمام إلى تزويد الشرق الأوسط فى هذا الحين بالمراقبين العسكريين وبالملحقين العسكريين ، كذلك اتسعت أعمالهم وكثر نشاطهم فأصبح لهم ملحق بحرى وجوى وعسكرى ولهؤلاء مساعدون كثيرون خاصون فى جميع الفروع .

الملحق العسكرى المحايد

لقد أوضحت لنا تجارب الحرب بصورة جلية أن العامل الأساسى للمحافظة على سلامة الدولة المحايدة وحماية مصالحها هو فى وقوفها على نوايا الدول المحاربة ، فإنه ينبغى أن تحاط علماً كاملا بالمعلومات العسكرية كى تكون فى مأمن من المفاجأة وتعمل على تقرير الدفاع الوطنى بأوسع معانيه .

وعناصر الدفاع تشمل إبرام المحالفات وتنظيم القوات المسلحة ووضع خطط التسليح وتنظيمها وتصميم المشروعات الاقتصادية والقيام بالمباحث العلمية والفنية وتهيئة الأمة سيكولوجيا.

والملحق العسكري المعتمد لدى دولة محاربة في موقف يمكنه من استقاء المعلومات عن المبتكرات الجديدة التي يجري تطبيقها تكتيكيا وفنيا ، كما يستطيع أن يقدر كفاية القوات المقاتلة لدى الطرفين المتحاربين واحتمالات القدر حتى يكفل لدولته إصدار القرارات السديدة لوقاية مصالحها ومؤازرة الجانب الذي تكون فيه مصلحتها إذا دعت الضرورة إلى ذلك .

ولكن الدولة المحاربة قد لا تسمح للملحق العسكري المحايد بالوصول إلى مقر القيادة العليا أو تتبع القتال في الميدان ، إذ أن لها مطلق الحرية في هذا الشأن ، وقد يتناول قرار الإباحة والمنع ملحقي الدول كافة أو بعضهم .

ومجمل القول أن المعاملة التي يلقاها الملحق العسكري المحايد لدى الدولة المحاربة تختلف اختلافاً بيناً في كل دولة عنها في الدولة الأخرى ، ومرجعها إلى ظروف القتال وروح التفاهم بين الدولة المحايدة والدولة المشتبكة في القتال ، ولا مراء في أن لشخصية الملحق العسكري أثر ملحوظ في نوع المعاملة التي يلقاها ، وعلى

أى حال فهذه المهمة التى يقوم بها الملحق العسكرى هى نفس مهمة المراسل الحربى من حيث الأداء والحصول على المعلومات والاستفادة منها سواء فى النشرات السرية العسكرية أو الصحف العسكرية العادية أو الصحف العامة .

المعلومات العسكرية التى يجب أن يعرفها المراسل الحربى

« ثقافة الأفراد هى الفلسفة العليا للحرب الحديثة »
ليدل هارت

تنقسم الصحافة العسكرية إلى قسمين :

القسم الأول :

يشمل المجلات والصحف والنشرات العسكرية التى تصدرها القوات المسلحة .

القسم الثانى :

يشمل كل ما يتعلق بالأخبار العسكرية التى تنشر فى الصحف المدنية أو فى الصحف التى تصدرها هيئات عسكرية تجمع فيها بين المعلومات العامة والمعلومات العسكرية .

والصحافة العسكرية لا تصبح صحافة متخصصة إلا إذا

كانت جميع المعلومات التى تشملها هذه الصحف معلومات عسكرية علمية فنية بحتة ، وهذا لا يمنع أن تنشر هذه المعلومات الفنية البحتة فى صحف غير متخصصة كما تنشر صفحات الأدب والفنون بالجرائد اليومية .

إذن فالصحافة لا تقتصر على المعلومات التى تنشرها صحف القوات المسلحة على اختلاف أسلحتها ووحداتها بل يمكن أن تنشرها الصحف العامة فى صفحات خاصة أو على أنهر خاصة أو فى مساحات محددة من هذه الصحف ، وعلى أى حال لا يمكن نشر المعلومات العسكرية البحتة على عامة الشعب لأنها مادة علمية فمن الناحية الصحفية تخضع هذه المادة لقواعد نشر العلوم فى الصحف العامة ، فاللغة التى يستعملها العلماء فى أبحاثهم وتجاربهم والنتائج التى يصلون إليها لا تهم القارئ العادى فى قليل أو كثير إذا نقلتها الصحيفة كما هى لأنها لغة علمية بحتة وأرقام لا يعرفها إلا العلماء من القراء .

وما يقال فى هذا يقال فى الصحافة العسكرية التى مادتها الأساسية الفنون الحربية وعلم الحرب .

ولما كان القارئ لا يقبل إلا على قراءة ما يفهمه ، نجد فى كل صحيفة خبيراً فى شئون العلم يترجم أقوال العلماء ونتائج

أبحاثهم ودراساتهم إلى لغة بسيطة مفهومة حتى يستطيع القارئ أن يفهم تطورات العلم وأثرها على حياته ، وإقبال القراء على أخبار العلوم وتقدمها يزداد بشكل ملحوظ كل يوم لأن العلم أصبح الآن يسيطر على كل صغيرة وكبيرة فى الحياة .

وأنواع الأخبار العلمية كثيرة ، والحديث عنها يتطلب صفحات متعددة فميدان العلم واسع ، ويعتبر مصدراً غزيراً للأخبار وما يتبع فى هذه العلوم كعلم الصحة والهندسة والاكتشافات وغيرها يتبع فى العلم العسكرى ، والعلوم يمكن توسيع قائمتها لتصبح دائرة معارف صغيرة ، ومع ذلك سوف تظل الدائرة ناقصة ، ففى كل يوم تظهر تطورات علمية جديدة وخاصة فى الطب والطيران والراديو والحرب ، خصوصاً التجارب العلمية السرية أو العامة أو الاستعداد لعملية العنصر الرئيسى فيها سر ويحمل اسماً جديداً أو إذاعة أنباء الاكتشافات المفاجئة لأشياء كان الإنسان يبحث عنها منذ سنوات ، وهذه الموضوعات يجب ألا يكتب عنها إلا بعد أن تراجع بوساطة أكثر من خبير وعالم حجة فى الموضوع ، وليس هذا معناه أنها موضوعات معرفة ، وليكن معروفاً أن ما يبدو اليوم مستحيلا قد يصبح غداً أمراً ممكناً جداً ، ولكن الاكتشافات العلمية لم تعد تأتى الآن

وليدة صدفة أو إلهام ، فقد أصبحت نتيجة لبحث علمى قد يستغرق عشرات السنين .

ومن هنا ظهرت أهمية المحرر العلمى فى الصحيفة الذى أساس مهمته ترجمة المعلومات العلمية وتبسيطها إلى لغة سهلة يفهمها القارئ العادى وذلك بالنسبة لنشر الأنباء والمعلومات العسكرية والتى أرى أن يكون للصحف اليومية والمجلات الأسبوعية محرر عسكرى للشئون العسكرية ، والمحرر العسكرى كالمحرر العلمى الذى تكون وظيفته ترجمة وتبسيط المعلومات العلمية والعسكرية والخطط والنظريات الحربية والاكتشافات إلى لغة سهلة سلسة يفهمها القارئ العادى والجندى المحدود المعلومات ، وهذا لا يمنع أن يتخصص وينقد ويعلق على الدروس المستفادة من المعارك الكبرى فى التاريخ وشخصية القادة العظام واستخدام الأسلحة الجديدة والخطط الحربية المستقبلة ، وهو على أى حال يجب أن يكون عقلية عسكرية لها اعتبارها ووزنها وقيمتها عند أولى الشأن من رجال الحرب وأن القواعد العامة التى يجب أن يلاحظها المحرر العسكرى سواء فى الصحافة العسكرية المتخصصة التى لا تتعرض إلا لشئون الحرب أو فى الصحافة العامة التى تنشر أبواباً أو صفحات أو أنهر للمعلومات العسكرية هى

نفس القواعد التى تنطبق على المحرر العلمى فى الصحف الأخرى وهى بعينها التى يجب أن يلاحظها المراسل الحربى ، وتتلخص فى :

● لا تحسن الظن بمعلومات القارئ ولكن لا تقلل من ذكائه .

● لا تظن أن هذا الخبر مثلا قديم على القارئ لأنه ليس جديداً عليك فهناك كثيرون لا يزالون يعيشون فى القرن التاسع عشر وربما الثامن عشر .

● لا تخرج عن دائرة الحياة الإنسانية فالقارئ آدمى .

● لا تنس أن القارئ يقاطعك كل عشرة سطور ليسأل ، لماذا ؟ ولأى سبب ؟ فإذا لم تجب له على تلك الأسئلة فلن يكمل قراءة الموضوع .

● لا تعتقد أنك تجعل الموضوع أكثر جاذبية لو حشوته بخرافات أو أشياء خيالية أو نكات أو ألفاظ المبالغة .

● لا تقل . . . هذا كشف هام إلا إذا كنت قادراً على تقديم البرهان ، وإن كنت قادراً على ذلك فلست فى حاجة إلى كتابة هذه العبارة .

ولا يتوقع محررو الصحف أن يكون المخبرون علماء ، بل يريدون منهم أن يكونوا على معرفة بالقواعد العامة وقادرين على تفهم المعنى العام لأى اختراع أو كشف أو نظرية ، وهذا

يتطلب دراسة بسيطة وتجربة طويلة ، وهذا ما ينطبق أيضاً على المراسلين الحربيين والمحررين العسكريين ويجب على المراسل الحربى أن يلم بكثير من المعلومات التى تؤهله للقيام بوظيفته إذ أن مادة الكتابة العسكرية يجب أن يكون لها أساس متين من المعرفة العسكرية أو مايسمونه(Back Ground) وبصفة إجمالية يجب أن يلمّ المراسل الحربى بالآتى :

● المنشئات الحربية لأى دولة غالباً ما تكون معقدة ، ومع هذا يجب أن يكون المراسل الحربى ملمًّا بها جميعها ، وتنصب معرفته على الموضوعات الآتية :

التنظيم العام للجيش — وزارة الحربية والبحرية والطيران والقيادة العليا وهيئة أركان الحرب .

ليس فقط فى البلد التى يعمل فيها بل فى جميع الدول التى تتبع تنظيمـًا مختلفـًا فى تنظيم قواتها العسكرية .

● تنظيم الأسلحة والإدارات والمصالح المختلفة والوحدات ومحطاتها وتحركاتها .

● الأساطيل البحرية وقطعها المختلفة وحمولتها وتوزيعها وتسليحها وسرعتها .

● القوات الجوية ، القاذفات والمقاتلات وناقلات الجنود ،

طرازها وسرعتها وتجهيزاتها ومدى طيرانها وتنظيم السلاح الجوى وحالته المعنوية ومقدرته الفنية وكفاية ضباطه ومؤهلات الرتب الأخرى.

● الطيران الشراعى ، التعاون الجوى ، المطارات ومدى إعدادها للطيران الليلى والأراضى الصالحة للنزول .

● نظام التجنيد والمدارس العسكرية المختلفة .

● التشكيلات المختلفة بالجيش العامل والاحتياطى والأسلحة المعاونة .

● معدات القتال بأنواعها والمهمات والتسليحات الإجماعية والفردية وأسلحة الحرب المختلفة والتحسينات التى أدخلت عليها .

● الناحية الإدارية فى الجيش والبحرية والطيران .

● قوة الروح المعنوية فى الجيش والبحرية والطيران .

● كفاية كبار القادة وهيئة أركان الحرب ، وترجمة حياتهم والمناصب التى يشغلونها ومقدرتهم الفنية .

● تحويل المنشآت الصناعية إلى مصانع حربية ــ التحضيرات لتعبئة القوات المسلحة « وسائل النقل بالسكك الحديدية ــ الطرق » المقدرة على التوزيع الاستراتيجى .

● الدفاعات الأرضية وتسليحها « التحصينات الدائمة ونصف الدائمة » .

● السكك الحديدية والطرق الاستراتيجية ــ الموانى البحرية الحربية ــ الترسانات والاحتياطات المتخذة للدفاع الجوى الإيجابى والسلبى .

● المخترعات العلمية والاكتشافات التى يمكن أن يستفاد منها فى الحرب والتحسينات فى صناعات الحرب .

● الجغرافية العسكرية للبلاد وحالتها الصحية والاجتماعية والنفسية .

● الأبحاث الخاصة بوسائل الدفاع ضد الذرّة والقنبلة الهيدروجينية والأشعة الكونية والصواريخ الموجهة .

وأرى اطلاع المراسل الحربى على النشرات الرسمية لوزارات الدفاع الوطنى المختلفة والكتب العسكرية الحديثة والمجلات والمراجع العسكرية والقوانين ، كل هذه الوسائل تزوده بدلائل قيمة عن التنظيم العام للجيش وعن التغييرات التى تحدث أولا بأول .

كما أن دراسة المجلات العسكرية لها عظيم الفائدة ، ففيها يجد معلومات كثيرة تسترعى اهتمامه ، وكثيراً ما يكون كتّاب هذه المقالات قد أفادوا من خدمتهم خبرة ويريدون توجيه النظر إلى ملاحظات لهم عن تطبيق الأنظمة الحالية ويقترحون حلولا جديدة لمسائل معينة .

إن كل المجلات العسكرية وأكثر اللوائح فى أكثر الدول فى العالم تباع للجمهور ويمكن دراستها فى سهولة ويسر .

وعلى المراسل الحربى أن لا يتقيد بدراسة المطبوعات الرسمية فحسب فالصحف لها أهميتها إذ قد تحوى عناصر كثيرة تكمل معلوماته ، فأخبار التعيينات والترقيات أو على الأقل الصور الفوتوغرافية يمكن منها التعرف على ضابط معين ومراقبته فى حالة إرساله فى مهمة خاصة . والأخبار التى تطلع بها الصحف قد تعطى بيانات مفيدة عن بعض الأسلحة والعتاد أو الوحدات الجديدة ، والصور التى تظهر فى المناورات والاستعراضات لأول مرة.

وعلى ذلك فالدراسة الدقيقة للصحف أمر له أهمية عظمى ، بيد أنها تتطلب القارئ اللبيب الدقيق المتمرّن على هذا العمل الشاق الذى لا يدع شيئاً يفلت منه لأن أقل إشارة قد يكون لها أهمية حربية خاصة .

وقد أخذت الصحافة المصرية بمبدأ تعيين محرر للشئون العسكرية ، وكانت أسبق الصحف إلى هذا العمل هى دار أخبار اليوم ، فقد اهتمت الدار بالجيش المصرى وشئونه ، خصوصاً بعد حرب فلسطين ، وعينت فى عدة مناسبات محررين للشئون العسكرية ، وأرسلت الصحف بعض مندوبيها

إلى منطقة القنال أثناء الاعتداء الثلاثى الغاشم على الأراضى المصرية فى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ للقيام بمهمة المراسل الحربى وهى خطوة طيبة فى سبيل إدخال هذا النظام فى الصحافة المصرية .

وإذا كنا نحاول اليوم أن نضع قواعد أو إرشادات لمن يعمل فى محيط الصحافة العسكرية ، فلابدّ لهذه القواعـــد والإرشادات أن تكون كاملة شاملة لكل ما يتعلق بالشئون العسكرية فى الصحافة ، إذ أن الصحفى الذى يعمل اليوم مراسلا حربيًّا سيرقى حتماً ليكون ناقداً حربيًّا أو على الأقل محرراً عسكريًّا أو معقباً على الأخبار العسكرية أو قد يتولى رئاسة القسم العسكرى فى صحيفة كبرى أو يصبح عضواً بمجلس تحريرها للشئون العسكرية ، لذا فالمعلومات التى نضعها فى هذا الكتاب ليست مقصورة على المراسل الحربى بل هى أساس لكل من يعمل فى الصحافة العسكرية ـــ محرراً أو ناقداً أو معقباً على الأخبار العسكرية .

المدارس العسكرية الدولية

إن عمل الناقد أو المعقب العسكرى فى وقت السلم والحرب هو من الأعمال الصحفية الهامة التى تتطلب إلماماً تاماًّ بالفنون الحربية ودراية تامة بأساليب الحرب ، وعمل هؤلاء جميعاً فى وقت الحرب هو مكمل لعمل المراسل الحربى الذى يوافى صحيفته بأنباء جبهة القتال التى يعمل فيها ، وفى الواقع أن التعليق على الأخبار العسكرية عمل شاق ، لأن سيف الرقابة العسكرية على الصحف مصلت دائماً على كل ما يكتب ويرسم وينشر ويصوّر من الموضوعات العسكرية للنشر بالصحف .

وقد قام بأعمال المراسل والناقد والمعقب العسكرى فئة كبيرة من أعلام الفكر العسكريين فى جميع أنحاء العالم ، فإن أخبار الحرب والأخبار العسكرية بصفة عامة والتعليق عليها على تفاوت ألوانها وأحجامها فى مختلف المراحل ومن شتى الزوايا ، ونقل الصور المختلفة للأفكار والمفكرين بين رجال الحرب جدير بالنشر على الناس حتى لا تظل مغمورة وراء الطائرات والدبابات والمدافع ، ولا بد لمن يقوم بهذا العمل سواء فى الصحف العسكرية أو الصحف المدنية من العسكريين أو المدنيين الذين تخصصوا

فيه حتى يمكنهم أن ينقلوا إلى القوات العسكرية أو الجبهة الداخلية صورة صحيحة عما يجرى فى ميدان القتال بطريقة سهلة ومبسطة يفهمها الجميع على السواء ، وتاريخ الصحافة والأدب والتأليف والترجمة والنشر ملىء بما كتبه وأخرجه المراسلون والنقاد والمعقبون من كتابات تعتبر خلاصة ما أخرج وما كتب فى الصحافة العسكرية ، ومن أكبر الشخصيات التى تعلقت بهذا العمل وانتجت فى مضماره الكثير من الآراء القيمة هو الكابتن « ليدل هارت » الذى تجاوز نقده وتعليقه دائرة الصحف إلى المؤلفات والمحاضرات وانتقد خطط كبار القادة وأرخ للحروب وأصبحت نظريته تدرّس فى كل مكان .

المدرسة الإنجليزية

« ليدل هارت »

يعتبر « باسيل هنرى ليدل هارت » من أشهر المعلقين العسكريين فى العالم وهو يوزباشى سابق فى مشاة الجيش البريطانى بزغ نجمه فى الحرب العالمية الأولى وقدّر له أن يكتسب شهرة واسعة فى المحيط العسكرى العالمى واعتبره الكثيرون أكبر قادة الفكر العسكري الحديث حتى لقد أطلق عليه كبار

العسكريين لقب « كلاوزفيتز القرن العشرين » .

وبالرغم مما يبدو من حداثة رتبته فقد تمكن من الحصول على شهرة واسعة وأصبح ذا نفوذ كبير على الأفكار العسكرية الحديثة وترجمت مؤلفاته ونشرت فى جميع دول العالم الكبرى .

وليدل هارت رجل واسع الاطلاع غزير العلم تمكن بفضل خبرته ودراساته المتعددة أن يلقى ضوءاً جديداً على دراسة الحرب يمكن تمييزه بوضوح خلال كتاباته المتعددة وإنتاجه الغزير ، وهو يعتبر مؤسس المدرسة الإنجليزية المعاصرة تلك المدرسة التى كانت وليدة تعاليم « مارلبورو » وهو يتعمق فى البحث ويعود إلى الماضى القريب والبعيد ليخرج إلى أبناء جيله دروساً قيمة أمكنه استخلاصها من المعارك القديمة عن أفكار القادة وتطور العمليات واستخدام الأسلحة وتطورها على مر العصور ، ثم يتناول هذه الدروس والأفكار القديمة بالبحث وينظر إليها نظرة رجل ذى قدرة على التفكير بوضوح والفحص بتمعن والاستنتاج السليم حتى يتمكن فى النهاية من الاستفادة منها استفادة كاملة يستطيع تطبيقها تطبيقاً مناسباً وفق المواقف والإمكانيات والأسلحة الحديثة ثم يخرج بأفكار وتعاليم جديدة تلائم المستقبل كما يراه ، ثم تمر الأيام وتثبت الوقائع والأحداث

سلامة تفكيره وصحة آرائه وسعة خياله ومقدرته الفذة على التقدير الصحيح .

- عين « ليدل هارت » فى وظيفة المحرر العسكرى لجريدة « الديلى تلغراف » منذ عام ١٩٢٤ وظل بها حتى عام ١٩٣٥ حيث أصبح المحرر والمستشار العسكرى لجريدة « التيمس » . وقد اكتسب « ليدل هارت » المزيد من المعرفة والاطلاع طوال هذه الفترة وكتب عدداً كبيراً من الكتب والمؤلفات العسكرية ، وكان أكثر هذه المؤلفات يبحث فى كيفية استخدام الحملة الميكانيكية فى الجيوش الحديثة ومستقبل القوات المدرعة ، وقد أدّى اتجاهه إلى هذه الناحية من البحث إلى توطيد صلاته بالجنرال « فولر » المشهور بأبحاثه عن الحروب الميكانيكية ، والتقت آراؤهما فى عدة نواحٍ ، ونشرت آراء « ليدل هارت » ومؤلفاته فى أكثر من مكان وذاعت شهرته ولاقت أفكاره قبولا وتجاوباً خارج بلاده خصوصاً فى الجيش الألمانى الذى كان يزداد قوة واتساعاً فى ذلك الوقت ، وفى عام ١٩٣٧ أصبح « ليدل هارت » مستشاراً لوزير الحربية ، وفى هذا الوقت كتب مذكرة ضمنها آراءه ومقترحاته عن تسليح الجيش وتدريبه ، ولاقت هذه المقترحات معارضة شديدة خصوصاً من هيئة أركان

حرب الإمبراطورية ، وبالرغم من ذلك تم تنفيذ الكثير منها في الفترة التي تلت ذلك حتى عام ١٩٣٩ .

وفي عام ١٩٤١ بدأ في كتابة تعليقاته في جريدة « الديلي ميل » عن الحرب العالمية الثانية التي كانت قائمة في ذلك الوقت .

وعين بعد ذلك محرراً عسكرياً لدائرة المعارف البريطانية ، لقد استطاع « ليدل هارت » بفضل غزارة علمه وسعة اطلاعه ومقدرته الفذّة على البحث والاستنتاج أن يصل إلى مكانة مرموقة بين قادة الفكر العسكري الحديث ، ولقد أشاد كثير من القادة بقيمة نظريات « ليدل هارت » وتعاليمه ، فيقول « رومل » :

« كان في استطاعة البريطانيين أن يتجنبوا الكوارث والهزائم التي حلت بهم بدراسة النظريات الحديثة التي نادى بها كل من « ليدل هارت » والجنرال « فولر » قبل نشوب الحرب العالمية الثانية ومحاولة تطبيقها تطبيقاً صحيحاً .

ويعتبر « جودريان » منشئ المدرعات الألمانية نفسه تلميذاً لليدل هارت ، وأيد ذلك في مذكراته التي نشرت عام ١٩٥٠ بعد نهاية الحرب إذ استهلها بقوله :

« إلى ليدل هارت أستاذي الأول في تكتيكات واستراتيجية

القوات المدرّعة لأبين له نجاح الآراء التى تنادى بها مدرسته » .

وفى عام ١٩٣٩ قال الكولونيل « كانييف » الذى قضى مدة طويلة فى رئاسة الجيش الألمانى شارحاً الجهود الكبيرة التى يبذلها الجنرال « جودريان » لتجهيز وحداته المدرعة .

« إن الجنرال جودريان يعتقد أن ليدل هارت صاحب أكبر عقلية مرنة فى العالم ، ولذلك فقد أمر بترجمة جميع مؤلفاته ودرسها دراسة وافية وأدرك فى النهاية مدى قيمتها ، ثم أقنع المسئولين فى برلين باتباع النظريات والتعاليم التى ينادى بها ».

ولقيمة هذا الرجل وأهمية أفكاره وآرائه ومدى نفوذها على الفكر العسكرى الحديث لا نستبعد أن يشيد أحد كتاب الأجيال القادمة بأحد قادة الفكر العسكرى النابهين من بنى جيله فيصفه بأنه « ليدل هارت القرن الحادى والعشرين » .

وقد قضت مدرسة « ليدل هارت » الحديثة على المدرسة الإنجليزية البحرية التى تأثر بها « تشرشل » وهى التى عرفت بمدرسة « ماهان » فى فنون الحرب البحرية واستراتيجيتها وهى دراسة كلاسيكية ، كذا على المدرسة الإنجليزية البرية التى أظهرها السير « جون فورتسكيو » ومن بعده الجنرال « ويفل » .

المدرسة الفرنسية

« نابليون » و « فوش »

يعتبر «نابليون بونابرت » مؤسس المدرسة العسكرية الفرنسية ، والحقيقة التى لا مراء فيها أنه أحد فلتات التاريخ ، فإنه لم يحدث لرجل أن أثر فى دنيا الحروب وتحكم فى مصير بلده وجيله وتدخّل إلى مدى بعيد فى مصائر الأجيال التى جاءت بعده كما حدث من « نابليون » .

وقد آمن « نابليون » بالصحافة العسكرية يستخدمها فى معاركه ، فكان يلقى المنشورات قبل قذائف المدافع ، وقد حدث ذلك فى إيطاليا ولومبارديا عندما قال للسكان إنه جاء ليخلصهم من الذل والعار ، فكان لها فعل السحر .

إن « نابليون » كان يعرف كيف يسيطر على الناس من ناحية مراعاة شعورهم وإذكاء أسباب الاقتناع ، ولكن ليس بأسلوب الخضوع ، لقد استطاع « بونابرت » بسن القلم أن يثبت الانتصارات التى أحرزها بحد السيف ، وكان « نابليون » قائداً عظيماً وخطيباً بارعاً وكاتباً مجيداً خرج من مسرح الحرب والسياسة ودخل ساحة التاريخ الذى شهد بأنه أكبر عبقرية

عسكرية ومن أروع ما كتبه مذكراته فى « سانت هيلانة » التى نفى إليها وقضى فيها بقية حياته ، نذكر منها هذه الكلمات :

« نحن شهداء مبادئ خالدة يبكى حظنا الملايين من الخلق ، ويتأوّه الوطن لمصابنا ، ولو كنت مت وأنا فى أوج عظمتى لبقيت إلى الأبد لغزاً لا يحلّ » .

ويعتبر المارشال « فوش » المؤسس الثانى للمدرسة العسكرية الفرنسية ، وهو أحد أساطين العسكريين الذين ظهروا فى أوائل القرن الذى نعيش فيه ، وقد كتب عدة نظريات قيمة لها فائدة لكل من يعمل فى المحيط الحربى ضابطاً كان أم ناقداً ، باحثاً أم معقباً على الأخبار العسكرية .

ولفوش عدة نظريات قيمة ، أهمها رأيه فى المعركة ، وهو يقول فى ذلك :

« لكى نحصل على الغرض من المعركة لا بد من أن نحقق غرضاً واحداً ، ألا وهو تدمير قوات العدو النظامية » .

والمعركة اليوم هى وسيلة التفاهم فى زمن الحرب ، بل هى الوسيلة الوحيدة التى تستخدم وقتئذ ، ولا غرو أن نعتبرها بعد ذلك بمثابة الغرض النهائى لأى عملية استراتيجية .

لم يكن « فوش » بالبحاثة الاستراتيجى ، ولكنه حصر

تفكيره دائماً فى شىء واحد ، وهو الناحية التكتيكية ، وأكبر مثل على ذلك هو أنه نظر إلى المعركة على أنها ضرورة أساسية حتمية لتحقيق أى غرض استراتيجى ولكن الحقيقة أنه قد يمكننا أن نحقق أغراضنا الاستراتيجية دون أن نخوض معركة حقيقيـــة ، فإذا صمم « فوش » على تدمير قوات العدو فإنما يعنى أنه يجب أن يتم ذلك فى أى تصادم يحدث فى الميدان ، وهو يقول فى ذلك إنه لا يمكن تحطيم قوات العدو فى معركة دفاعية ، فهى لا تمكن أى قوة من احتلال الأراضى التى استولى عليها العدو . وهذا يعتبر الدليل الوحيد من الناحية الظاهرية على النصر — ومن ثم فالمعركة الدفاعية لا يمكن أن تؤدى إلى النصر ، وعلى ذلك فأى معركة دفاعية لا بد وأن يعقبها عملية هجومية لاستعادة الأراضى التى فقدناها ، وإلا لن تقوم قوّاتنا باقتحام مواقع العدو .

وهذا حديث معقول ، فقد تبدأ الدولة الحرب بمعارك دفاعية لأن ظروفها تحتم عليها ذلك ، بل قد تلجأ إلى أن تقترن عملياتها الدفاعية بعمليات انسحاب تبعا لخطة موضوعة ، ويكون الانسحاب حينئذ صورة من صور الدفاع والانسحاب لايحصل على النصر فى النهاية ، فإن كان الدفاع هو أقوى وجه من أوجه

المعركة ، فإن الهجوم هو حد السيف الذى يفصل فى النتيجة النهائية ، فالغرض من الدفاع تدمير قوّات العدو ومعداته وأسلحته ، لماذا ؟ لنحصل على التفوق المناسب لقيامنا بعمليات هجومية ناجحة .

وهذا الحديث يجعلنا نتساءل ما دام الأمر كذلك فلم لاتفتتح كل دولة الحرب بعمليات دفاعية ثم يتلو ذلك عمليات هجومية للحصول على الغرض النهائى من الحرب ؟

وهذا معقول ، ولكن أنى لنا بالظروف التى تمكننا من ذلك ؟ فهناك استحالة مادية من الناحية النظرية لأنه لو صح ذلك ما كان هناك اعتداء وما كانت هناك حرب ، وتتدخل أيضاً عدة ظروف أخرى من أهمها رقعة الدولة ومساحة مسرح العمليات ، فإن كانت روسيا تستخدم هذه الطريقة على الدوام فإنما مرجع ذلك إلى طبيعة أرضها وتجمعها الاستراتيجى ، فإن النتيجة التى تحصل عليها من أى معركة دفاعية بما فيها عمليات الانسحاب الاستراتيجى تتناسب تناسباً طردياً مع العمق الاستراتيجى الذى ييسره مسرح العمليات أما إذا كانت الدولة تفتقر إلى هذا العمق الاستراتيجى كألمانيا مثلا — فنجدها تميل دائماً إلى الناحية التعرضية أى إلى الهجوم من مبدأ الأمر.

ثم لفوش عدة نظريات فى القيادة وكيفية تحطيم عزيمة العدو والمناورة والاستراتيجى ، وقد صحح « فوش » من نظرياته المحدودة التى سبق له أن عرضها فى كتابه الأول ، ونجده يخرج بالاستنتاجات الآتية من الحرب السبعينية :

— ضرورة إعطاء الاستراتيجى غرضاً معنوياً ، ولو فى مؤخرة رأس القائد ولو أن « فوش » جاء بعد جيل واحد بعد أن صقلته تجربة الحرب الحديثة بأسلحتها وخاصة الطيران ، لا بد أنه يغير رأيه ويرى ضرورة وضع هذا الغرض فى المقدمة .

— بالرغم من أن هزيمة الجيوش الفرنسية فى « ميتز » و « سيدان » كانت كاملة إلا أن ذلك لم يحقق السلم المنشود أى أن التغلب على الجيوش النظامية ليس إجراء كافياً للحصول على السلم المشرف وبذلك يعود إلى رأس جامبتا بخصوص الأمة المسلحة ويرى فى باقى عناصر الأمة وسيلة لإصلاح هزيمة الجيش المنهزم .

— ورأى فوش أيضاً أنه كان من الأجدر بالقادة الفرنسيين التقليل من أهمية التمسك بباريس كما رأى ضرورة عدم التمادى فى أن تتوقف سلامة فرنسا بأجمعها على سلامة باريس ثم ينتهى من حديثه قائلا إن المناطق الصناعية كذا المناطق الزراعية

والموانى الهامة ستصبح الأغراض الهامة فى الحروب المستقبلة بدلا من العواصم ، ولعل « فوش » بهذا القول كان يعنى ما يعنيه الاستخدام الاستراتيجى للقوات الجوية فى الأيام الحالية .

— إن الغرض السياسى لا بد أن يؤثر على اتجاه العمليات الحربية ، وما دام الألمان قد حددوا غرضهم فى الاستيلاء على باريس فكان من الواجب أن تنصب مناوراتهم على عزل الجيوش الفرنسية عنها لا دفعها إلى الوراء فى اتجاهها .

هذا أهم ما كتبه « فوش » من نظريات عسكرية قيمة .

والمأخذ الوحيد عليها قصر تطبيقاتها على حرب واحدة هى الحرب السبعينية ولو أنه أخذ لها أمثلة عديدة من حروب مختلفة خاصة الحرب الأهلية الأمريكية لأمكنه أن يلمع بطريقة أفضل وبأفكار أكثر حيوية وأكثر جدة .

المدرسة العسكرية الألمانيـــة

« كلاوزفيتز »

إذا كنا قد تحدثنا عن « ليدل هارت » مؤسس المدرسة الإنجليزية المعاصرة وعن « نابليون » و« فوش » مؤسسى المدرسة العسكرية الفرنسية فلا بد لنـــا من أن نتحدث عن أستاذ

المدرسة العسكرية الألمانية وهو « كلاوزفيتز » الذى يرجع الكثيرون من الكتاب العسكريين اليوم إلى فقرات كثيرة من مؤلفاته كمراجع للبحث يستندون إليها للدفاع عن مبدأ خاص أو أصل عام من أصول الحرب وهو يعتبر — مهما تباين الناس فى تقدير مؤلفاته — أستاذ المدرسة العسكرية الألمانية ، هذه المدرسة التى يمكن أن يقال إن لها أنصاراً كثيرين من ناحية التفكير الثقافى بين كبار العسكريين وصغارهم فى كل دول العالم ، وهؤلاء الأنصار رغم هوايتهم الأممية ينقلون الكثير مما فى دراساتهم عن أصولها الألمانية المنقولة عن « كلاوزفيتز » ، وهذا هو الشىء الذى يجعل لمؤلفات « كلاوزفيتز » قيمتها الكبيرة .

ومع هذا فإننا لا ننكر أننا قد نستطيع القول — عندما ننظر إلى دراسات « كلاوزفيتز » نظرات عابرة بأن فى هذه الدراسات بعض الإبهام والغموض ، لا سيما التعاليم التى يمكن أن تطبق فى ضوء صورة الحرب البرقية التى كانت جيوش العالم تتقاتل على أساس أصولها المستحدثة حتى الأمس القريب . وعلة هذا الإبهام والغموض أن « كلاوزفيتز » لم يتبسط فى كتبه لتكون تعاليمه فى مستوي القارئ العادي بل لعله كان يكتب لطائفة خاصة من الناس ، وهذا أمر يبدو واضحاً فى كتابات بعض

أساطين الاستراتيجية الذين سبقوا « كلاوزفيتز » أمثال « فيجيتس » و « دي ساكس » و « فردريك الأكبر » .

والشيء الذى يجعل الكثيرين يعرضون عن مطالعة كتابات « كلاوزفيتز » قراءة ودرساً وبحثاً هو أنه من الضرورى أن يدرس « كلاوزفيتز » فى ضوء دراسة حياة الرجل نفسه وفى ضوء دراسة العصر الذى عاش فيه . . . ثم فى ضوء ما وصل إلى أيدينا من تعاليم نابليون العسكرية التى أجمل فيها تعاليمه للحرب ، وهى مسألة تبدو بدورها مجهدة غير مستطاعة لهواة الاستراتيجية الذين يقرأون دائماً مثل هذه المؤلفات العميقة التفكير قراءة عابرة كل ما يعنيهم منها هو الخروج ببضعة سطور تصلح للاستناد إليها كمراجع فى المحاضرات والمؤلفات العسكرية .

وقد جنح بعض الناس إلى الإقلال من أهمية مؤلفات « كلاوزفيتز » على أساس أن الرجل هو واضع أسس التخطيط للاستراتيجية الألمانية ، وما دامت ألمانيا قد هزمت فإن الأصل غير حرى بالدرس ولا قمين بالمراجعة .

والواقع أن ألمانيا قد هزمت فى كل ميادين الحرب فى أوروبا وأفريقيا ما فى هذا شك ، وقد وقع المارشال « كيتل » رئيس هيئة أركان الحرب الألمانية الأكبر منذ فجر الحرب حتى بداية

الهزيمة فى الغرب ميثاق التسليم للحلفاء فى ظهر التاسع من مايو سنة ١٩٤٥ وكان التسليم بلا قيد ولا شرط .

ولكن ألمانيا قد هزمت بالأمس كما هزمت مرة أخرى من قبل فى ذات القرن لأنها أخطأت تقدير موارد الحلفاء الذين لا يستطيعون فى بداية أى حرب تثيرها ألمانيا البروسية إلا أن يقفوا موقف الدفاع حتى يحسنوا حشد مواردهم لتغيير اتجاه المد . . .

هزمت ألمانيا لأن استراتيجييها المدنيين لم يحسنوا العمل لا مع الوقت ولا ضد هذا العامل الخطير ، ثم لأن السياسيين الألمان لم يقدروا أن الجنس البشرى — وإن مجد القوة وأحبها وأعجب بها — لا يقر الطغيان ولا يحتمل نير المظالم والمذابح التى توجه لنشر الرعب والمخاوف بين الأهلين العزّل من كل سلاح اللهم إلا مشاعر المقت والكراهية التى تملأ قلوب الأفراد ولا يلبث الناس أن يقوموا بدور فى الصراع لا يمكن القول بأنه دور سلبى .

كان هذا هو سبب هزيمة ألمانيا فى الأمسين — القريب والبعيد — ولا يمكن أن يكون معنى هزيمة ألمانيا أن أصول الحرب الألمانية فاسدة ولا أن القادة الألمان حمقى لم يكونوا يصلحون

للدور الذى احتملوا عبأه ، كما يقول بعض كتاب هذا العصر فهذا حديث ماجن لا أصل له . . . واو قدّر لأى من « روميل » أو « كيسلرنج » أو « جودريان » أو « بوك » أو « ليست » أوغيرهم أن يكون فى صفوف الحلفاء لجاءوا بالعجائب.

ولكن العقلية البروسية وأسلوب آلة الحرب الألمانية هما علة فشل كل هؤلاء القادة فى النهاية عندما يقف عامل الوقت فى الجانب المضاد . . .

ولهذا فإنى أومن الإيمان كله بأنه يجب أن تدرس معارك هؤلاء القادة دراسة بحث وأن يكون هذا الدرس لا بالوقوف فى خطوط الحلفاء بل أن تدرس مراكز قيادتهم مع تقدير الموقف الإدارى الذى كان كل منهم يواجهه وفى هذه الدراسة نفع كبير لكل من يعمل فى محيط الصحافة العسكرية مراسلا كان أم ناقداً ولا سيما إذا كانت الدراسة عميقة تصل إلى عقلياتهم وأخيلتهم ، وعلى هذا القياس ندرس قادة الحلفاء ، فندرس تعاليم الحرب البرقية والتدابير التى جاءت لمواجهتها . . . ولكننا لا نستطيع هذه الدراسة ولا تلك إلا إذا درسنا على التخصيص تعاليم الحرب التى جاء بها الألمان منذ أكثر من قرن من الزمان فإن لهذه الدراسة مكاناً رحباً فى كل دول العالم الغربى .

ولا نستطيع أن ندرس أصول الحرب الألمانية إلا بدراسة أبعد التعاليم التى سبقت « فون كيتل » و « فون شليفن » وحتى « فون مولتكه الكبير » هذه التعاليم التى جاء بها « كلاوزفيتز » الرجل الذى عاصر « نابليون » و « باوخر » و « شارنهورست » تلك التعاليم التى جمعت أبرز الأصول وأقواها والتى لم يغير أصولها وقواعدها تطور صور القتال وتطور صور الاستخدام التكتيكى للوحدات المقاتلة تبعاً لتطور الأسلحة وتبعاً لايجاد الآلة ذات الاحتراق الداخلى التى تسير على شرائط وتحصّن بدروع من الصلب وتبعاً لإيجاد المدفعية التى تطير فوق السحاب فتنقل مسرح الحرب لمئات من الأميال ولا يمكن أن تكون هذه الدراسة وقفاً على العسكريين وحدهم فإن الحرب عندما تجىء تؤثر فى حياة الناس عامة بل كما يقول « والترميلز » إنها تهدد بل تقلب الأوضاع فى هذا المجتمع ولا توجد أى ناحية فيه لا تتأثر فتتعدل وتتغير تماماً بسبب الحرب .

والحرب ليست عملا من صنع الله . . . بل تنشأ من أعمال يعملها الأفراد والجماعات والأمم . . . أو يفشلون فى عملها . . . فهى إما وليدة السياسة القومية أو وليدة النقص فى هـــذه السياسة ، والناس يقولون إنه من الحماقة أن تترك سياسة الحرب

للعسكريين وحدهم أو السياسيين وحدهم أو حتى للاثنين معاً فهي واجب الأمة كلها بممثليها لا بأفرادها ، فإن مثل هذه السياسة لا تترك للمناقشات العامة وإن كان نجاحها يتوقف على إصرار كل فرد فيها وعزيمته وإنتاجه ، وقد كان بعض الناس يقولون إن الجهل بالمسائل العسكرية يعاون على كراهية الحرب . . . هذه الكراهية التي مكنت في عصور سابقة من إيجاد أناس يعملون للسلم في كل مكان ، ولكن هذا لم يعد مستطاعاً اليوم به بل إن الإلمام بالمسائل العسكرية قوة تضمن حياة الناس في أمن وسلام .

وهذه الدراسة هي التي مكنت من إيجاد طبقة من الاستراتيجيين المدنيين أمثال « واشنجتون » و « لينكولن » و « لويد جورج » و « كليمنصو » و « ويلسن » و « تشرشل » و « روزفلت » وطائفة من المؤرخين ورجال الاقتصاد والصناعة أمثال « أثيناو » أو الصحفيين أمثال « تروتسكر » و « بريستلي » ورجال الثورات السياسية أمثال « ماركس » و « إنجلز » .

ولا يمكن أن تدرس أصول الاستراتيجية للعصر الحديث دون الرجوع إلى أصولها التي جاءت عنها والاستراتيجية التي وضع أصولها « كلاوزفيتز » في تعاليمه هي المرجع الذي يجب

أن يقرأه كل فرد اليوم مدنيا كان أم عسكريا .

إن المسائل العسكرية فى ضوء الظروف الحديثة تتصل اتصالا وثيقاً بالمسائل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومن الصعب أن يتحدّث أفراد عن الاستراتيجية العسكرية وحدها ، لقد كان نجاح « هتلر » فى غزو « روسيا » عام ١٩٤١ يرجع إلى هذه الحقيقة ، بل ومن الضرورى أن ندرك بأن كبار الزعماء فى أوربا كانوا حتى سقوط فرنسا يفكرون فى أسلوب القرن السابع عشر عندما كان من الممكن أن توضع السياسة والحرب والاستراتيجية والتكتيك فى درجات منفصلة بعضها عن بعض ، ولكن فى عصرنا الذى نعيش فيه ، وبالتبعية فى العصر الذرى سيجىء بعد هذا لا يمكن . . . ولن يمكن الفصل بين السياسة والاستراتيجية . إن الحرب تفرض نفسها على كل الناس ... وما دامت تهم كل الناس فمن الضرورى أن يعرف هؤلاء أولا أنها تهمهم وتهتم بهم ، ففى السلم والحرب على السواء يجب أن يتفهموها . . .

والنظريات الثلاث الرئيسية فى تعاليم « كلاوزفيتز » والتى عاد « فوش » فكررها هى :

● نظرية الحرب المطلقة والتى أدى تطورها إلى إيجاد الأمم المسلحة .

● نظرية ضرورة الاحتشاد ضد العدو الأساسى الذى يجب تدمير قواته أولا .

● نظرية أن القوات المسلحة هى التى تكون الهدف الحقيقى وأن المعركة هى الوسيلة لإدراك هذا الغرض .

وبدراسة هذه النظريات من الناحية الاستراتيجية والتكتيكية وفى ضوء العصر الذى جاء فيه الكاتب والصورة التى استطاع أن يخرج بها من دراسة الأصول والأوضاع فى ذلك العصر وفى العمليات الحربية التى كانت فى أيامه وسبقته ، وإذا كنا لا نزال ندرس أصول الاستراتيجية التى جاء بها « فيجيتس» و «ساكس» و « فردريك الأكبر » لنخرج منها بصورة التطبيق المتغيرة الأصول للحرب الثابتة وندرس أيضاً معارك « هانيبال » و « إسكندر » و « قيصر » لدراسة الأصول التكتيكية التى فيها ، فليس أقل من أن ندرس الأصول والتعاليم التى جاء بها « كلاوزفيتز » وهو رجل مهما اختلفت الآراء فى تقدير قيمته وتعاليمه بالنسبة للعصر الذى نعيش فيه ، فإنه بالصورة التى نقلها عن « نابليون » وبالتجارب التى اكتسبها من المعارك التى خاض غمارها ، ثم بالموهبة الشخصية التى كانت كامنة فيه ، يعتبر دون جدل سيد الأصول والتعالم التى ندرسها اليوم والتى سنظل

ندرسها إلى أن توجد فى العالم شخصية أخرى تقلب الأوضاع والأصول وتوجد وسيلة أخرى للقتال غير الجنود الذين يسيرون على أقدامهم أو يمتطون الآلات ذات الاحتراق الداخلى أو يهبطون من الجو بالمظلات وإلى أن يجيء هذا القائد العسكرى النابغة ، ينبغى أن نلم بتعاليم « كلاوزفيتز » لأنها تراث يستحق كل عناية وتقدير . . .

المدرسة الروسية

« سوفاروف »

يعتبر « سوفاروف » فيلسوف روسيا العسكرى كمثل « كلاوزفيتز » بالنسبة للجندية البروسية ، فهو المسئول الأول عن التوجيه الأساسى للجندية الروسية بل يعتبر أنه هو الذى كان يوجه التكتيكات الروسية فى ضوء الحرب البرقية بين عامى ١٩٤١ و ١٩٤٥ بالرغم من أنه وورى التراب قبل أربعين سنة من بدئها .

كان « سوفاروف » لا يعرف السياسة ، كان جنديا عاش من أجل الحرب ومات فى أوج المجد ، ولكنه للأسف مات فى فراشه مريضاً ، وكم كان يود أن يموت فى الميدان ، وهى ميتة

لم يهنأ بها لا « ويلنجتون » ولا « نابليون » ولا « فردريك » ولا « كلاوزفيتز » ولا حتى « الإسكندر » و « هانيبال » .

كان « سوفاروف » معروفاً لكل جندى يقاتل فى صفوف الجيش العامل ويستطيع كل منهم أن يقص شيئاً عن أعماله ، وعلى الأخص معركته الأخيرة التى سار فيها من ممر « سانت جوتارد » فى جبال الألب حتى عبر الراين الشمالى فى ثمانية أيام طوال بقى ساعاتها كلها متيقظاً يرد كل هجوم عنيف للفرنسيين الذين يقودهم « مسينا » ولا هدف لهم إلا تدمير الروس .

ولكن « سوفاروف » بالنسبة للعالم كل شىء غير هذا ، رجل يجب أن يدرس تاريخه وأن تفهم تعاليمه المبسطة للجندى الفرد لأن هذه الدراسة وحدها هى التى تمكننا من أن نعرف العقلية الروسية والجندية الروسية لأن « سوفاروف » هو الذى أوجد المدرسة الروسية فى القتال .

عاش « ألكسندر فاسيليفتش سوفاروف » فى ذات الوقت الذى قامت فيه الثورة الأمريكية للاستقلال .

فهو من جيل قد مضى وانتهى وراح أهله كصورة قديمة فى سجلات التاريخ فيما عدا ما قد يكون لهم من آثار وأعمال ، ولكن « سوفاروف » بقى إلى أكثر من هذا فى أعين الروس

سيد الرجال فى الجندية بغير منازع ، ويعتبرونه جامعاً لأبرز ما فى « هانيبال » و « قيصر » و « فردريك » و « نابليون » .

و إذا كان لنا أن نقول إن الروس يعدونه أقوى شخصية عسكرية فى التاريخ القديم والحديث على السواء ، فمن الضرورى أن نذكر دائماً أن « سوفاروف » هو الأنموذج الصحيح لكل قائد روسى موفق ، وعندما سلم « فون باولوس » الألمانى فى « ستالينجراد » فإنه سلم لروح « سوفاروف » كما سلم للقائد الروسى المحلى فى ميدان القتال ، لأن روح « سوفاروف » نفسها كانت تشد أزر القائد الروسى الذى يقف من « فون باولوس » موقف الخصومة فى القتال .

و « سوفاروف » جندى بالطبيعة ، درس هذه الصناعة منذ أول نشأته حتى يمكن القول بأنه يكاد يكون قد ولد فى صفوف الجند ، وفى الإحدى وسبعين سنة التى عاشها منذ مولده فى عام ١٧٢٩ حتى وفاته فى عام ١٨٠٠ اجتاز كل درجات السلم العسكرى ، كان فرداً عادياً ثم شاويشاً حتى وصل إلى فيلدمارشال وفى الخمسين سنة التى قضاها فى الجندية حصل على انتصارات لم يحصل عليها قائد آخر فى التاريخ .

وإذا نظرنا إلى المجموعة الكبيرة من القادة الروس أمثال

« تيموشينكو » و « روكوسوفسكى » و « كونييف » و « زوكوف » فإن هؤلاء لم تصهرهم التجارب المأخوذة عن « كلاوزفيتز » ولا « فردريك » ولا حتى « نابليون » بقدر ما صهرتهم التجارب التى أخذوها عن « سوفاروف » ، وقد أنشأت « روسيا » فى سنى الحرب عدة مدارس عسكرية لإعداد الضباط الأحداث وسميت باسم «مدارس سوفاروف للطلبة الضباط ، والروس يقولون إن طالباً يجتاز باب هذا المعهد حاملا إجازته كضابط لا يخطئ النجاح أبداً ، وتتحدث الصحف الروسية بأحاديث من قلم « سوفاروف » وإذا قالت «فعل سوفاروف هذا » كان هذا فصل الخطاب ، فلا جدال بعد ذلك ، وهكذا بقى سوفاروف نصب أعين الروس دائماً بالرغم من أن شهرته فى دول الغرب طغت عليها بسرعة شهرة نابليون نفسه .

لقد راح البولنديون ينشرون أن « سوفاروف » الذى بعثت به روسيا لا يمكن أن يكون هو القائد الكبير ، بل لعله أخاه أو عمه ، ولكنه كان هو « سوفاروف » نفسه ، وقد جاء وهو فى الرابعة والستين ، كما كان يجىء دائماً وهو فى عنفوان الشباب ، فقد كان يسير فى سرعة تتفاوت بين عشرين وخمسة وعشرين ميلا فى اليوم الواحد .

وقد حدث الاشتباك الأول فى الحادى عشر من سبتمبر ، وفى الثالث من نوفمبر افتتحت قلعة « براجا » التى تغطى « وارسو » وانتهت الحرب ورقى « سوفاروف » إلى رتبة فيلد مارشال .

لقد بات أكبر معجزة عرفها التاريخ لقائد عسكرى . . . فإن العالم لم يتوقع من رجل فى مثل سنه أن يتقدم على رأس جنده فى مثل هذا السير العنيف المجهد ، صحيح إن المصريين الأولين وجنود إسبارطة القدامى كانوا يهيأون هم وضباطهم وقادتهم على السير لمسافة عشرين ميلا فى اليوم الواحد ، ولكنهم كانوا يدربون لهذا المستوى فى « سير الاقتراب » لا فى السير المصحوب بالقتال ، ولقد كان « سوفاروف » يستأهل منا الإعجاب ، لهذا كان لزاماً على « سوفاروف » أن لا يترك تعاليمه هذه تفنى ولا أن يتركها غير مسجلة ولا مسطورة على الأقل لنفع الجيل الذى سيجىء بعده ، فهو لم يكن ليفكر إلى أبعد من هذا ، فلم يكن يؤمن لنفسه بالخلود ، والمدرسة التى سبقته لم يخلد منها أحد .

وسيطرت الفكرة على القائد الشيخ . . . فبدأ التحرير والكتابة . . . مقدراً البيئة التى يكتب لها .

لم يكن « سوفاروف » ذا ثقافة كبيرة فى العلوم والمعارف

العامة . . . ولم يكن كاتباً مجيداً ولا خطيباً طلق اللسان ، ولكنه كان كاتباً عنيف الأسلوب قوى العبارات صريحاً فيما يكتب إلى غاية حدود الصراحة مع قدرة على النقد اللاذع وقد درس حياة كبار القادة الذين سبقوه ، وكان يعرف تفاصيل بناء ودفاع كل حصن قوى هام فى أوربا ، كما كان يعرف صفات كل العسكريين الأوربيين الذين يمكن أن يقف اتجاههم فى الميدان ودراسة صفات القادة الذين يقفون فى الجانب المضاد منه ، وقد أثبتت الأيام أهميته . . . ذلك لأن لكل قائد خصائصه فى تفكيره وعمله ، وتأثيره بالجو المحيط به ، وتعنى بذلك إدارات المخابرات الحربية فى كل الأمم الأخرى دون أن تترك ناحية من النواحى العامة أو الخاصة بغير درس ، وبذلك تستطيع أن تقدم عند قيام الحرب دراسات وافية عن هؤلاء القادة للانتفاع بها فى إدراك توجيهاتهم ومراميهم ، على أن هذا لا يحول دون أن يعنى القادة أنفسهم بدراسة شخصيات القادة الذين يواجهونهم فى الميدان والأسلحة التى تحت قيادتهم .

مات « سوفاروف » فى الوقت الذى عاد فيه « نابليون » من مصر ، وفى غمرة مجد « نابليون » وانتصاراته ، باتت أعمال « سوفاروف » قليلة الأهمية وقد يكون هذا صحيحاً بالنسبة

لاروس ، فالروس لا يعتبرون « نابليون » أكثر من رجل منحته الفرص بعض الحظ ، ولعله صورة أخرى لشارل الثانى ، كان يحسن أن لا يجرب حظه على الطريق إلى موسكو .

ولهذا بقى « سوفاروف » فى نظر الروس الجندى الأول فى العالم كله ولم يكتبوا على قبره أكثر من ثلاث كلمات بسيطة لها معناها وهى :

هنا يرقد « سوفاروف »

حقاً يرقد « سوفاروف » فى ذلك القبر فى أطراف مدينة بطرسبرج ، ولكن الصحيح أيضاً أن « سوفاروف » لا يشغل ذلك القبر وحده ، بل إنه يشغل آلاف القبور التى خلفها الروس وراءهم من الفولجا إلى برلين فى تقدمهم السريع لتقويض النازية فى أوربا .

لقد كان الروس يخوضون غمار كل معركة وهم يضعون نصب أعينهم كل تعاليم « سوفاروف » وكان القادة الروس يرسمون الخطط لقتال الألمان وهم يرقبون على الصورات أمامهم وجه « سوفاروف » يرشدهم ويوجههم ، ولهذا كان « سوفاروف » فى الحقيقة هو الذى هزم الألمان ودمر قواتهم .

إن كل الذين يقفون فى مكان القيادة من كل الرتب حتى

رتبة الشاويش الأقدم للفصيلة المشاة يعرفون أن الجيش الروسى اليوم إنما يتبع تعاليم « سوفاروف » حتى تلك غير المسطورة فى كتابه عن تعاليم الجنود صناعة القتال .

وغرف المحاضرات فى المدارس العسكرية لا تجد أمامك على الحائط سوى النجمة الفضية يتوسطها رسم المنجلة والمطرقة وصورة باهتة اللون هى صورة « سوفاروف » مؤسس المدرسة العسكرية الروسية .

إن فى دراسة تعاليم « سوفاروف » الحربية فائدة كبرى لكل من يعمل فى محيط الصحافة العسكرية .

المدارس العسكرية الأخرى

وإن هناك من يعتبر دراسة بعض المعارك التى خاضها قواد عظام مجّدهم التاريخ كأنها مدارس عسكرية لدولهم ، وإن كنت أخالف هذا الرأى لأنهم لم يضعوا نظريات أو مبادئ نتيجة لهذه المعارك ، إلا أنى أذكره هنا للفائدة .

هناك من يعتبر الجنرال « روبرت لى » الأمريكى أحد أبطال الحرب الأهلية الأمريكية صاحب مدرسة خاصة ، وكذلك الجنرال « جرانت » الذى كان فى الجانب الآخر ضد

هذا القائد فى هذه الحرب — كذا هناك من يعتبر « أيزنهاور » صاحب مدرسة عسكرية خاصة خصوصاً وأنه صاحب فكرة غزو شمال أفريقيا وغرب أوروبا « نورماندى » وهو الذى وضع استراتيجية هاتين الحملتين التى كان لهما الأثر الأكبر فى إنهاء الحرب العالمية الثانية فى الميدان الأوربى والإفريقى .

وهناك من يعتبر « جرازيانى » مؤسس المدرسة العسكرية الإيطالية لأنه هو الذى وضع استراتيجية وتكتيكات استخدام العمليات الحربية فى الصحراء بالعربات المصفحة الخفيفة .

هذه فكرة بسيطة عن أساتذة المدارس العسكرية الدولية ونظرياتهم لكى تكون مفتاحاً للتعمق فى دراسة هذه المدارس والنظريات للإلمام بتفاصيلها .

مذكرات القادة والصحافة العسكرية

تعتبر المذكرات التى يكتبها القادة أثناء العمليات الحربية أو بعد نهاية الحرب ، من أعظم الأعمال التى تصلح للنشر سواء بالصحف المدنية أو بالصحف العسكرية ، وقد كتب كثير من القادة العظام فى التاريخ مذكرات عن المعارك التى خاضوها .

ومن أجمل ما كتب فى هذا الموضوع مذكرات « روميل »

أعظم قائد أظهرته الحرب العالمية الثانية ، وهو علاوة على ذلك من أعلام الفكر العسكرى وكاتب بارع وقائد عظيم ، وقد حلل « ليدل هارت » شخصية « روميل » أصدق تحليل فكتب عنها يقول :

« كان روميل رب السيف والقلم ، ولم ير التاريخ قبله قائداً سجل وقائعه وفتوحاته بمثل تلك القوة والحيوية » .

ولم يسبق أن رسم قائد آخر صورة واضحة المعالم دقيقة التفاصيل لعملياته الحربية وفلسفته فى القيادة كما فعل « روميل » بل إن قائداً آخر لم يستطع قط أن يفجر بالقلم فى نفس القارئ ذلك الإحساس بهول الحرب الخاطفة أو يثير فيه تلك النشوة بجمال فرق « البانزر » أثناء سيرها .

وقد بلغ من سيطرته على اللغة ودقته فى الوصف وخياله الواسع أن جعل القارئ يشعر بالسرعة فى الحركة وفى اتخاذ القرارات الحاسمة ، إن « روميل » يجعل القارئ معه فى عربته الحربية .

والسمة البارزة فى كبار القواد أنهم فى الغالب كتاب غير مجيدين ، فهم إذ تنقصهم البراعة الأدبية فى وصف معاركهم ، يكتنف الغموض تفكيرهم ، وعندما يسردون أفعالهم لا يحفلون بتوضيح أسباب قيامهم بتلك الأفعال أو كيفية تنفيذها ، ومع

أن « نابليون » كان قائداً وكاتباً ، فإن تعمده تشويه الحقائق وعدم النزاهة فى سرد الوقائع قلل من الضجة التاريخية لمذكراته ، وشأن « نابليون » فى ذلك شأن « قيصر » فلم تكن كتاباته تغلب عليها الصنعة والزخرف فقط بل كان يقصد بها الدعاية ، أما كتابات « روميل » فموضوعية إلى حد يلفت النظر ، وتصويرية أيضاً ، فقد كان يكتب عن إدراك تام بمكانه من التاريخ شأنه فى ذلك شأن جميع صناع التاريخ .

وقد كان « روميل » فى مذكراته قوى الحجة بحيث يستطيع الصعود أمام أعنف النقاد والباحثين ، وقد يكون فيها بضعة أخطاء فيما يتعلق بالوقائع ، ولكن هذه الأخطاء أقل جدا مما امتلأت به مثيلاتها من المذكرات الخاصة التى صدرت بعد الحرب ، وفى مذكرات « روميل » بعض التفسيرات التى تصلح موضوعاً للجدل ، ولكنها على أى حال تخلو من التشويه المتعمد الذى يقصد به الإشادة بالمؤلف أو بوطنه مما يكثر فى أدب الحروب ، لقد ظل « روميل » طوال الحرب العالمية الثانية يأمل أن يضع كتاباً يكون من الدقة والوضوح بحيث يضارع العمليات الحربية نفسها .

وهكذا ظل يضع مذكرات عن هذا المشروع — وهى

المذكرات التى ضمنها قصته عندما أتيحت له الفرصة .

ولكن الموت عاجله بناء على أمر « هتلر » ، فلم يستطع أن يكمل مشروعه ، ومع ذلك فإن مذكراته تعد كتاباً فريداً لأنها تتميز بالتركيز الدرامى وفيها من التعليقات التى تضفى عليها الجمال والرّواء مما يجعل لها أهمية خاصة .

وسوف تلاقى مذكرات « روميل » كثيراً من الصعاب أثارته حول شخصيته وزواياه مختلف الجهات تبعاً لأهوائها .

فقد كتب « روميل » هذه المذكرات قبل أن يخطر له أى احتمال عن أى جدل قد يثار حولها خارج ألمانيا ، وقبل أن يستطيع تحويرها بحيث تصلح ردا على ما يثار حوله ، كما أن خطاباته إلى زوجته تتسم بطابع فريد وصراحة عجيبة ، وإذا علمنا أن تلك الرسائل كانت لا تخضع للرقابة أمكننا أن نستشف منها عن قرب صورة واضحة لفكر « روميل » والحوافز التى تدفعه إلى العمل ، وقد تختلف الصورة وفقاً لاختلاف وجهات النظر ، ولكن شخصية « روميل » ستظل واضحة المعالم بارزة الأثر .

وهذه المذكرات من وجهة نظر الصحافة العسكرية عمل صحفى ممتاز . . . وهى من وجهة نظر المراسلين الحربيين أقصى

ما يطمع أن يحصل عليه مراسل حربى فى الميدان لأنه العمل الذى سيخرج به عن الروتين المألوف لنشر الأخبار العسكرية المراقبة ولروميل كلمات مأثوره وآراء مجيدة فى الفن العسكرى منها قوله :

« القيادة العليا للمحور كانت مكونة من فلاسفة حرب لا رجال ميدان ، فهناك فرق بين الجندى كمحارب فعلا والجندى الجامعى الذى درس نظريات الحرب ولكنه لم يمارسها أو يسعى إلى تحقيقها بنفسه ، فقد لا يكون رجل الأعمال فى ثقافة أستاذ الاقتصاد الذى يعالج الحقائق من الناحية النظرية ، وعلى الرغم من خصب أفكاره فإنه لا يهتم بتحقيقها ويكتفى بالرضا عنها كل الرضا » .

ومن أجمل ما قاله وهو يعبر عن شعور القائد عند الهزيمة :

« الموتى أسعد حالا منا ، لأن آلامهم قد انتهت ولم يصبحوا يشعرون بشىء ، فقد انتهى كل شىء بالنسبة لهم ، ولم تعد الآلام تؤثر فيهم » .

وأما عن رأيه فى القواد الإنجليز فإنه يقول :

« إنهم كانوا يتبعون الخطط التى كان يرسمها من سبقهم من القواد الذين أصبحوا الآن فى ذمة التاريخ ، لأن العقلية

البريطانية اشتهرت وتمسكت أبداً بالمحافظة على تراث السلف ، وإن الضابط الوحيد الذى أظهر نوعاً من العبقرية الحربية هو الجنرال « ويفل » ، أما « مونتجمرى » فهو قائد حسن الحظ ، إن أعظم أخطاء البريطانيين فى الحرب كثرة تغييرهم لقوادهم الكبار مما يضطر الضابط الكبير دائماً إلى دراسة مشروعات وخطط القادة السابقين ، كان القواد البريطانيون أفذاذاً ولكنهم كانوا يقصون عن مناصبهم قبل أن تتاح لهم فرصة إظهار كفايتهم ، أما عن القواد الأمريكيين فقد أظهر إعجابه بإلمامهم لفن الحرب الحديثة بسرعة ، ويعزى ذلك إلى روحهم العملية وعدم اكتراثهم بالتقاليد والنظريات البالية .

هذا بعض ما جاء بمذكرات « روميل » وهى تثبت حقاً أن مذكرات القادة التى يعدونها فى ميدان القتال تصلح أن تكون عملا عظيما من ناحية النشر الحربى والصحافة خصوصاً إذا كان كاتبها قائداً بارعاً وأديباً موهوبا وصاحب مدرسة عسكرية حديثة مثل « روميل » .

شخصيات هامة فى مجال النشر الحربى

إذا كنا قد تحدثنا عن « ليدل هارت » و « نابليون » و « فوش » و « كلاوزفيتز » و « سوفاروف » و « روميل » قادة المدارس العسكرية الدولية ، نجد أنه من الواجب أن نذكر بعض الشخصيات الهامة فى مجال النشر الحربى ممن كان لهم أثر فعال فى الثقافة العسكرية والكتابة الحربية التى هى عماد الصحافة العسكرية لتكون مرجعاً لكل من يعمل فى الصحافة العسكرية وهم على سبيل المثال لا الحصر :

« مونتجومرى »

سيظل المارشال «مونتجومرى» أبد التاريخ منقذاً للإمبراطورية البريطانية وعلما من أعلام الحرب مقرونا اسمه باسم الجيش الثامن ومعارك شمال إفريقيا ، وهو أيضاً باحث وكاتب عسكرى بالإضافة إلى أنه قائد عبقرى ، فقد كتب بحثاً مطولا عن الحرب العالمية الثانية ضمنه آراءه الشخصية فى موضوع تلك الحرب وأشكالها ومراحلها ، وقد نشرت المجلات العسكرية العالمية هذا البحث نظراً لأهميته وقيمة صاحبه ، ومن أهم ما جاء بهذا البحث ، قذف القنابل الذرية من الجو لا يكفى لإحراز النصر

إذ يجب أن يسير استخدام الطاقة الذرية جنباً إلى جنب مع العمليات البرية ، ثم تكلم عن الحرب البحرية والحرب البرية والحرب الجوية المستقبلة ، وكلها موضوعات قيمة للغاية ، ويختم المارشال بحثه فيقول إن القوة الجوية تشكل فى الطريق الذى يتألف من الأسلحة الثلاثة المقاتلة العامل الهام فى الحرب والسلاح الحاسم فى المعركة الفاصلة .

« تشرشل »

إنه خطيب ومؤلف وزعيم ، درايته بالسياسة الدولية لا تبارى ، وقد بقى كذلك لنصف قرن من الزمان ، احتاج لثلاث محاولات حتى نجح فى امتحان الدخول للالتحاق بكلية « سندهرست » العسكرية ، وترقى لرتبة ضابط فى عام ١٨٩٥ ، وقد نشأ ميالا للمدفعية حتى إنه قضى إجازته السنوية الأولى يقاتل مع الإسبان فى كوبا ممكنا الإسبانيين للاستعمار فهو استعمارى حتى لغير بريطانيا ، وفى عام ١٨٩٩ ترك الجيش ليذهب للبرلمان ولكنه فشل فى الانتخابات فتحول إلى الصحافة ليعمل كمراسل حربى ، وذهب إلى إفريقيا ليكتب عن حرب التحرير التى أثارها « البوير » وقبل أن يمر به شهران هناك أسر ولكنه فرّ من الأسر ، وقصة هربه أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة .

هو الذى حثّ الوزارة الإنجليزية على محاولة اجتياح «الدردنيل» فى الحرب ضد تركيا وانتهت الحملة بالفشل وأطاحت بتشرشل من مقعد الوزارة ليذهب إلى ميدان القتال بفرنسا يحمل رتبة « ليفتنانت كولونيل » ليكون قائداً لكتيبة « الفوزيليزر السادسة » وبقى خمسة شهور يقاتل فى خنادق فرنسا .

وفى عام ١٩١٧ استدعى للوزارة كوزير للذخائر ، فلما انتهت الحرب كان وزيراً للحربية والطيران ، ومن مركزه هذا كان يوجه قوات الحلفاء التى أرسلت إلى روسيا للقتال ضد الشيوعية فى أول ظهورها ، وفى اليوم الثالث من إعلان الحرب عينه « تشمبرلن » وزيراً للحربية وفى ١٠ مايو سنة ١٩٤٠ كان « تشرشل » رئيسا للوزارة لأول مرة .

فى خطبته الأولى قال لأعضاء المجلس :

« ليس لدىّ ما أمنحه إلا الدم والعرق والدموع » .

كان «تشرشل» هو الذى يرسم استراتيجية حملة غزو شمال إفريقيا عام ١٩٤٢ ، ومرة ثانية كان هو الذى رجح غزو أوربا من نورماندى بدلا من الهجوم على قلعة هتلر عن طريق البلقان .

فلما انتهت الحرب أخرجه الإنجليز هو والمحافظين من الوزارة والحكم ، لأن « تشرشل » لا يصلح إلا للحروب ،

وحتى عام ١٩٥١ كان قد أكمل خمسة مجلدات من كتابه « ذكريات عن الحرب العالمية الثانية » .

« إيدن »

خدم في الحرب العالمية الأولى في هيئة أركان حرب الجنرال « بلومر » وكانت فتوّته توضّح صلابة معدته مع قدرة على الاحتمال وهذا مما يندر وجوده فى بنى الإنسان ويمكن تشبيهه بالجمال التى تجوب الصحارى ليل نهار متحملة المشاق والصعاب ، ولهذا فإنه عندما جرح فى الهجوم الألمانى الأخير عام ١٩١٨ كان قد وصل إلى رتبة اليوزباشى وهو فى الحادية والعشرين من عمره فمركزه فى الجيش لم يكن كبيراً .

ولما انتهت الحرب عاد لإكمال دراسته فى أكسفورد ، ولكن السياسة كانت تسيطر على حواسه وكانت على غير أساس متين حتى إنه ختم حياته بفشله الذريع فى هجومه الغادر على مدينة « بور سعيد » ولا أقول على جمهورية مصر لأنها أكبر من أن تحفل بمثل هذا السياسى الفاشل .

ولم يصل إلى مركزه هذا إلا بعد أن اختير عضواً لمجلس العموم عن دائرة « وارويك » .

« أيزنهاور »

عرف « أيزنهاور » كيف يسوس سياسيين أمثال الرئيس « روزفلت » و « تشرشل » و « دى جول » وعسكريين أمثال « برنارد مونتجومرى » و « جورج باتون » و « مارك كلارك » وغير هؤلاء وهؤلاء . . .

وعمل بعض الوقت فى كتابة دليل سياسى للآثار الحربية فى أوربا ، ولوقت آخر عمل كياور للجنرال « ماك آرثر » فى الفليبين ، وعندما بدأت الحرب عام ١٩٣٩ كان ضابطاً برتبة البكباشى .

وأيزنهاور شخصية محبوبة . . . شخصية تجعلك تطمئن إليها وترتضى صداقتها ، وهو يحب المجتمعات ، محدّث لبق يكثر من المطالعة حتى كأنه يأكل الكتب بنهم ، يجيد الخطابة والكتابة .

« ترومان »

هو الرجل الذى صنع دولة إسرائيل كشوكة فى بناء الشرق الأوسط وقد خدم فى المدفعية فى الحرب العالمية الأولى حتى وصل لرتبة « ميجور » وعمل فى مصرفين من مصارف مدينة « كنساس »

واشترك فى تحرير جريدة « كنساس سيتى ستار » .

وهو الذى أمر بإلقاء القنبلة الذرية على اليابان فى صيف عام ١٩٤٥ فبدأت مرحلة من الذعر فى العالم كله نشأت مع ميلاد العصر الذرى .

كان السبب فى إنشاء حلف شمال الأطلنطى الذى قسم العالم إلى معسكرين غداة إعلانه .

وكان هو الذى أرسل فى ٢٧ يونيو سنة ١٩٥٠ الجنود الأمريكيين إلى كوريا الجنوبية مع بعض فصائل وكتائب من بعض الأمم لتحارب كلها باسم الأمم المتحدة .

يقرأ كثيراً من كتب التاريخ ... وقد تعلم البيان وهو صبى .

« ستالين »

سيطر على الصحافة والعلم والفن . . . وجمع كل السلطات فى يده وكان من الناحية الرسمية رئيس الوزراء ولكنه فى الواقع كان الرجل الفرد الذى يملك كل شىء ويحكم كل شىء .

استطاع أن يوجه بنفسه استراتيجية الجيش الأحمر ، ولهذا جعل من نفسه مرشالا عام ١٩٤٣ ثم قائداً عاماً للقوات فى عام ١٩٤٥ ، لم يكن من الممكن أن ينتصر الحلفاء على ألمانيا فى عام ١٩٤٥ لولا « ستالين » .

يقرأ بكثرة ، خشى الناس أن يقوده طمعه للسيادة على العالم إلى إثارة حرب عالمية ثالثة ، ولكنه مات وبات اسماً فى سجل التاريخ ، وغداة موته قال الناس ، إن بداية الحرب قد بعدت عما كان بعشرة أعوام .

عمل على إعداد جريدة « برافدا » كلسان حال للمقاومة السرية للحزب الشيوعى .

« مالينكوف »

فى عام ١٩١٧ كان يدرس بالمدارس العالية ولكنه ترك دراسته وانضم إلى القوات البلشفية .

وفى عام ١٩٢٠ انضم للحزب الشيوعى وعين قوميسيراً سياسيًا فى كتيبة مشاة ثم ارتقى ليكون قوميسيراً لآلاى ثم للواء مشاة ، وفى ثلاث سنوات كان قوميسيرا لكل الجبهة الشرقية التركستانية .

ثم ترك الجيش ليدخل المدرسة الفنية العليا فى موسكو ، وكانت تقاريره الدراسية ممتازة ، كما كانت التقارير التى كتبت عنه كرئيس لخلية الحزب الشيوعى فى المدرسة ، ومن أجل هذا اختاره ستالين سكرتيراً خاصًّا له .

وفى الاحتفال بالذكرى الثانية والثلاثين للثورة كان « مالينكوف » وحده خطيب الحفل ، قال إن الحرب العالمية

الأولى جاءت بالانتصار لثورة أكتوبر الاشتراكية في هذه البلاد .

وجاءت الحرب العالمية الثانية بالنظم الديموقراطية الشعبية وسط أوربا وجنوب شرق آسيا والانتصار للشعب الصيني العظيم .

فهل هناك من شك في أن الحرب العالمية الثالثة ستكون مقبرة للرأسمالية .

ومع هذا فإن الكثيرين ينتظرون تبدلا للسياسة الروسية للاقتراب من الغرب وحل مشكلات العالم على أساس إنهاء الحرب الباردة التي هي الطابع الواضح للقرن الذي نعيش فيه .

« شبيلوف »

كان وزيراً لخارجية الاتحاد السوفييتي ، وقد خدم مع « خروشيشيف » في الحرب العالمية الثانية في « أوكرانيا » حتى وصل إلى رتبة « ميجر جنرال » .

وفي عام ١٩٥٢ عين رئيساً لتحرير جريدة « برافدا » الروسية ثم استمر بها حتى عين وزيراً للخارجية عام ١٩٥٦ وله نشاط صحفي وعسكري كبير .

« دي جول »

استراتيجي من طراز ممتاز ، تنبأ في كتابه الذي نشر قبل

الحرب العالمية الثانية بعنوان « جيش المستقبل » بالكثير مما حدث فى الحرب الأخيرة وعلى الأخص مسألة تطويق خط ماجينو والدوران من حوله وعندما نشر كتابه سخرت منه القيادة الفرنسية يومذاك ، ولكن هيئة أركان الحرب الألمانية لم تسخر منه بل راحت تدرس الكتاب بعناية وطبقت كل ما جاء فيه عملياً .

« أندريه مالريه »

كاتب ومقاتل ، يعيش فى منزل جميل فى غابة بولونيا من أعمال باريس ومع هذا فإنه يحتفظ دائماً فى أدراج مكتبه إلى جوار أقلامه وأوراقه بمسدس ملىء بالطلقات .

عمل « مالريه » مع جماعة الكومينتاج ، وبات عضواً ضمن الاثنى عشر عضواً الذين كانوا يتولون أمر الثورة ، ولكنه فى عام ١٩٢٧ ترك الصين بعد ما اعتبره « شيانج كاى شيك » خائناً لمبادئها .

وقامت الحرب الأهلية فى إسبانيا فاشترك فيها وجرح ، ولكنه فى هذه الحرب بدأت شكوكه فى الشيوعية وأهدافها بالرغم من أنه فى عام ١٩٣٣ قال علانية :

« لو قامت الحرب فيجب أن نعرف بأن لا وطن لنا إلا روسيا السوفييتية » .

وفى عام ١٩٣٩ أخفقت كل معتقداته فى روسيا وفى الشيوعية .

اشترك فى الحرب العالمية الثانية كجندى فى الدبابات وجرح ووقع أسيراً فى قبضة الألمان ثم فرّ ليرجع إلى إسبانيا ، ومنها تسرّب حيث عمل فى قوات المقاومة ضد الاحتلال النازى تحت إمرة الكولونيل « بيرجير » الذى كان يقوم بحرب العصابات ضد القوات الألمانية ويشرف على عمليات نسف الخطوط الحديدية .

انضم لقوات « دى جول » ثم عمل وزيراً للاستعلامات فى حكومته التى لم تعش طويلا .

ولكن الحروب والثورات لم تحل دون كتاباته ، بل إن كل كتبه إنما تستند إلى الصور التى تمر به فى هذه المعارك التى يشترك فيها والتى تولد فيه شتى الأحاسيس الإنسانية التى يحسن تصويرها كفنان .

ويعمل « ماريه » مديراً للدعاية لحزب دى جول ومستشاراً له وهو يؤمن بأن فرنسا لا تستطيع الحياة ومقاومة التهديد الشيوعى إلا باتباع السياسة التى رسمها « دى جول » .

« دى وايت دالاس »

« دى وايت دالاس » محرر مجلة « ريدرز ديجست » الذى يقرأ مجلته كل شهر سبعون مليوناً من الناس فى كل أقطار العالم ، ويقرأها هؤلاء فى الطبعة الأمريكية وفى ست عشرة طبعة أخرى متباينة اللغات .

ويقصون أنه فى ربيع عام ١٩٥١ تحول الرجل الذى كان يتولى الدعاية للعصابات الحمراء فى الهند الصينية فانضم إلى الجبهة المضادة للشيوعية إثر قراءته لمقال عن حقيقة الشيوعية فى الطبعة الفرنسية لريدرز ديجست .

وعاون ذلك المقال الذى ظهر فى الطبعة الإيطالية فى هزيمة الشيوعيين الإيطاليين فى انتخابات عام ١٩٥١ .

وكل قوة لريدرز ديجست إنما ترجع إلى « دى وايت دالاس » نفسه وإلى اللمسات التى مكن بها من شعبية المجلة وانتشارها وتأثيرها فى جمهور القراء .

منعته الحرب العالمية الأولى من تنفيذ فكرته ، كان مرتبطاً بموعد مع المشاة وجرح فى «فردون» فلما سرح من الجيش بدأ يحاول تلخيص المقالات دون أن يبدل آراء الكاتب أو حتى من أساليبه .

« آرثر هايس سولزبرجر »

إن « النيويورك تايمز » تقدم كل الحقائق عن كل مايحدث في العالم .

وراء هذه الجريدة القوية يقف رجل واحد هو « آرثر هايس سولزبرجر » .

تزوّج عام ١٩١٧ عندما كان ضابطاً في الجيش الأمريكي برتبة الملازم الثاني فلما سرّح « آرثر » من الجيش في عام ١٩١٩ راح يعمل مع صهره « أوكس » كمساعد للمدير المالي .

تولى هو الإدارة للتحرير والنشر بسبب واحد هو أن « أوكس » أمر بهذا في وصيته التي تركها وراءه .

الغريب أن « النيويورك تايمز » تصدر نصف مليون نسخة في أيام الأسبوع العادية ومليون نسخة في أيام الآحاد .

« إيليا إيهرنبرج »

للرجل قيمة كبيرة في الميدان الداخلي ، وكانت كتاباته أثناء الحرب العالمية الثانية من العوامل التي أبقت القوى المعنوية في الجبهة الداخلية متماسكة لم تتصدّع ، وحتى اليوم عندما يكتب عن أعقد المشكلات التي تواجه روسيا السوفيتية .

وفى فجر الحرب العالمية الأولى عمل مراسلا للجريدة الروسية « أنباء البورصة » التى كانت تصدر فى « بترو غراد » فلما بدأت الثورة عام ١٩١٧ عاد إلى روسيا وانضم للشيوعيين ، ولكن خروجهم على الكنيسة أقلق مضجعه .

ذهب إلى إسبانيا أثناء الحرب الأهلية وكتب هناك عدداً من القصص الطويلة .

« أرنولد تويبنى »

ساهم فى تحرير مجلة « الأمة » ونشر كتابيه « أوربا الجديدة » و « القومية والحرب » فى عام ١٩١٥ ، وفى عام ١٩١٥ عمل فى قسم المخابرات بوزارة الخارجية .

يقضى صباح كل يوم فى إعداد التاريخ السياسى للحرب العالمية الثانية ، ويقضى أمسياته مطالعاً بصوت عال لزوجته .

* * *

هؤلاء وإن كانوا لم يمارسوا النقد والتعليق على الأخبار العسكرية بصفة ثابتة منتظمة ، إلا أن لهم أثراً كبيراً فيما قاموا به من أعمال فى المحيط العسكرى العالمى جديرة بالبحث والاطلاع وفى الإلمام بتاريخهم وما كتبوا فائدة تعود على كل من يعمل فى محيط الصحافة العسكرية مراسلا أو كاتباً أو معلقاً أو ناقداً للشئون العسكرية .

المكتبة العسكرية

يجب على كل من يعملون فى المحيط الحربى سواء القادة فى الخدمة العاملة أم الذين يمارسون الشئون العسكرية على الورق فى الصحف العسكرية أو فى الصحف المدنية أن تكون لهم مكتبة تحوى المؤلفات التى تساعدهم فى هذا المحيط .

وجميع القادة العظام فى التاريخ — سواء من كتب منهم مذكرات شخصية أو من نشر مؤلفات عسكرية أو كتب للصحف أبحاثاً عسكرية كانت لهم مكتباتهم الخاصة التى تحوى كتباً قيمة فى شتى الفنون الحربية فى جميع اللغات .

ومن أكبر المكتبات العسكرية « مكتبة المارشال سمطس » إذ جاء فى كتاب ابنه أن مكتبة والده تحوى سبعين مجلداً ضخماً عن الحرب فى أفريقيا والحروب العالمية خصوصاً الحرب العالمية الأولى .

وبديهى أن من يعمل فى النقد والتعليق على الأنباء العسكرية والمعارك الحربية لا غنى له عن مكتبة عسكرية دسمة يجد فيها معارك التاريخ الحاسمة وتاريخ حياة القادة والدروس المستفادة منها وتطور الفنون والاختراعات الحربية .

ائتمان الصحفيين على الأسرار العسكرية

« يجب أن يكون المراسل الحربى متبعاً بدقة عهد الشرف الصحفى الذى تحتمه عليه ممارسته مهنته وأن يكون له من ضميره وتقديره للأمور رقيباً على ما يكتب للصالح العام »

ثبت فى جميع الظروف التى مرت بها الدول سواء فى الحرب أو فى الأزمات الداخلية أن الرقابة العسكرية أمر لا بد منه ، حيث لا يمكن أن تترك الدولة أسرار قواتها العسكرية وتفاصيلها للصحفيين ، فائتمان الصحفيين على الأسرار العسكرية لا يزال أمراً صعباً ، فالرقابة العسكرية أهون وأخف من أن يترك الحبل على الغارب فيؤدى ذلك إلى الأضرار بأمن الدولة وسلامتها .

لقد ظلت حرية الصحافة — منذ ولدت على مر الزمن — العقدة بين الصحفى والقارئ والحاكم ، أن كلا من هؤلاء وقف أمامها إما خاضعاً لها أو معتدياً عليها ، والكل فى كلتا الحالتين يتصورها على غير حقيقتها حتى أصبحت هذه الحرية مصدر قلق وحيرة للحاكم والمحكوم وباعث هم للصحافة ورجالها .

ويقول علماء الصحافة :

« الواجب أن تكون الصحافة حرة لا رقيب عليها من جانب الحاكم ، وأن هذا شرط أساسى لعملها ، إلا أنه يجب ألا تتعارض هذه الحرية وصالح الوطن وألا تكون أداة لعرقلة نهضته وتقدمه ، كما يجب ألا تقف هذه الحرية فى سبيل حركة الشعب الوطنية والقومية » .

ونظراً لأن موضوع الرقابة العسكرية على الصحف له علاقة تامة بعمل المراسلين الحربيين ، كذا مدى علمهم بالأسرار العسكرية ، رأيت أنه من الضرورى أن نبحث موضوع الرقابة على الصحف لصلته الوثيقة بكل من يعمل فى محيط الصحافة العسكرية والنشر الحربى .

أول حادثة للرقابة العسكرية

كانت أول حادثة للرقابة العسكرية على الصحف فى الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ — ١٨٦٤) وقد حدث عندما منع القائد العام للقوات الشمالية فى هذه الحرب نشر أى خبر عن الهزيمة .

فقد حدث أن تقابل الجيشان المتحاربان فى « بول ران »

فى ٢١ يولية وبدا الموقف كما لو كان انتصار الشماليين أصبح محققاً ، فأرسلت أول برقية عن طريق العدائين والبرق إلى واشنطن تزف نبأ النصر ، وبعد بضع ساعات وصل إلى « جوبرايت » أحد مندوبيه منهوكاً من السفر ليخبره فى التاسعة مساء أن النصر قد انقلب إلى هزيمة ، ويصف له كيف تحطم الجيش الشمالى فى تلك الموقعة ، وكتب « جوبرايت » القصة وأرسلها إلى مكتب البرق ، وفى الصباح ذهل إذ رأى جميع الجرائد لا تتحدث إلا عن الخبر « البايت» أى القديم ، ألا وهو النصر ، أما بقية القصة فلم تشر إليها بحرف واحد ، وثار « جوبرايت » ولكنه سرعان ما علم أنه بمجرد أن سمع « دنفيلد سكوت » القائد العام للقوات الشمالية عن الاندحار فى تلك المعركة أرسل عداء مخصوصاً على حصان إلى مكتب البرق ومعه أمر بمنع نقل أى خبر عن الهزيمة ، وعلى ذلك فلم تنقل شركة البرق حرفاً واحداً من القصة التى بعث بها « جوبرايت » وكانت تلك أول حادثة عن الرقابة الرسمية على الأنباء .

وقبل أن تبدأ معارك الربيع أذاع « أدوين م . ستانتون » وزير الحرب الجديد البيان التالى :

« إن جميع الجرائد التى تنشر الأنباء الحربية ، كيفما

كانت وسيلة حصولها عليها ، ولم تحصل على تصريح من السلطات الرسمية بنشرها ستمنع من الحصول على أى إعلام من البرق ومن إرسال مطبوعاتها بالسكك الحديدية » .

وكان يقصد بهذا البيان الجرائد التى تفشى الأسرار العسكرية للأعداء ، وأثار هذا البيان معارضة عنيفة ، فاضطر فى اليوم التالى لتعديل بيانه قائلا :

« يمكن نشر الوقائع المنتهية التى لا تشير إلى تفاصيل عن القوات المسلحة أو إلى تصريحات عن عدد جيوش الولايات المتحدة ومواقعها وقوتها العسكرية » .

واستمر المحررون فى ثورتهم ، ولكن « ستانتون » لم يتزحزح عن موقفه وزج بأحد المراسلين فى السجن .

وفى يونيو عام ١٨٦٣ وصل أحد مراسلى « جوبرايت » إليه بعد سفر طويل متعب من « مارى لاند الغربية » لينبئ أن الجنرال « روبرت أ . لى » يزحف شمالا فى اتجاه بنسلفانيا على رأس ٨٠,٠٠٠ جندى فأسرع « جوبرايت » بكتابة الخبر وعرضه على الرقيب الذى رفض نشره ، فسأله « جوبرايت » ولكن لماذا ؟ . . . . فقال « لأنه يقدم معلومات للعدو » . فصمت « جوبرايت » برهة وقال « أترى العدو لا يعلم ماذا

يفعله جيشه ؟ ؟ ثم أليس من المهم إعلام أهالى بنسلفانيا ونيويورك بالخطر الذى يتهددهم ؟ » فأجاز الرقيب نشر الخبر على أن يسبق بعبارة « يقال إن . . . »

ورغم مجهودات الرقابة ، فقد كانت هناك أنباء كاذبة أو خاطئة كثيرة تنشر ، وأخيراً قرر « ستانتون » أن تصدر وزارة الحربية كل ليلة بلاغاً حربياً ، كان المفروض أنه موجه إلى الجنرال « جول أ . ديكس » فى نيويورك ولكنه فى الواقع كان موجهاً إلى « الأسوشيتدبرس » .

ومع أن الرقابة من ألد أعداء الصحافة التى تحاول دائماً أن تتخلص منها وتنادى برفعها لكى تتخلص من القيود التى تفرضها عليها والتى تعرقلها عن أداء رسالتها المثلى ، فإننا نعلم أن هفوة واحدة تقع من الصحف قد تؤدى إلى أضرار جسيمة للقوات المسلحة أو قد تؤدى إلى تصدع الجبهة الداخلية أو قد يستفيد العدو منها استفادة بالغة ، كل هذا جعل الرقابة العسكرية على الصحف أثناء الحرب أمراً طبيعياً ينطبق أيضاً على الإذاعة والسينما والتليفزيون والبريد والرسائل البرقية وغيرها من وسائل النشر .

وقد تعرضت مصر للرقابة العسكرية فى ظروف كثيرة أهمها فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ، ولا يمكن اعتبار أن الصحافة

نالت حريتها ، فمنذ الحرب العالمية الأولى وهى تحت الرقابة ، وفى الفترات المتقطعة القصيرة التى كانت ترفع فيها الرقابة خلال هذه المدة الطويلة كانت الصحف تتعرض لما هو أشد من الرقابة وهو مراقبة البوليس السياسى للمطابع ومحاولة معرفة ما يدور داخل الصحف نفسها وتسرب الجواسيس داخل دورها ومصادرة الصحيفة قبل خروجها من المطبعة وبعد انتهاء طبع جميع الكميات المطلوبة ، كل هذه الإجراءات الإدارية الشاذة كانت أشد عنفاً من الرقابة .

الرقابة التلقائية

لا يمكن القول بأن الصحافة قد نعمت بحريتها كاملة فى أى عهد من العهود إلا أن الحرب تنتج كبتاً تطوعياً للصحفيين خصوصاً المراسلين الحربيين ، وميلا قوياً لعدم نشر ما يمس أمن الدولة وسلامتها ، وأبرز مثل على ذلك ـــ حادث الباخرة البريطانية « الملايا » التى ضربت بالطوربيد ووصلت إلى نيويورك فى ٦ أبريل عام ١٩٤١ ورست على رصيف جزيرة « ستاتن » وكان هناك ألوف من الجماهير إذ أن وصول المركب وافق يوم الزعف وشاهدوا هم والقنصلية الألمانية منظراً كاملا لحصيرة حديدية

تغطى فتحة كبيرة فى جانب الباخرة التى أصابها طوربيد ألمانى وعلم بوصولها آخرون من الجماهير يعدون بالآلاف عندما شاهدوا فى بارات برودواى ومانهاتن بحارتها بقبعاتهم المكتوب عليها بأحرف مذهبة « ملايا » باخرة صاحب الجلالة ، وكان بحارتها الفخورون بباخرتهم بطلة البحار وصاحبة الغارة العظيمة على جنوا فى فبراير ١٩٤١ يصرحون لمراسلى الصحف أنه قد أصابهم طوربيد وهم فى قافلة حراسة فى شمال الأطلنطى فى ليلة ٢٠ مارس وكانت هذه على الأقل قصتهم ، وقد تمسكوا بها ، ويمكن تقدير عدد الذين عرفوا بوصول الباخرة « الملايا » على الأقل بنصف مليون شخص فى مدينة لا ينقصها الجواسيس النازيون ولا رقابة على برقياتهم .

وفى صباح اليوم التالى صدرت جريدة الديلى نيوز التى تنادى بالعزلة الواسعة الانتشار فى « مانهاتن » وفى صور صفحتها الأولى صورة فخمة ملتقطة من الجو وبعناوين بارزة مع وصف كامل لحادثة « الملايا » المصابة ، أما جريدة « الهيرالد تريبيون » الموالية لإنجلترا فقد كتبت القصة وأرفقت بها صورة قديمة وصمتت جرائد مانهاتن الأخرى ، فقد استجابوا لطلب وزير الحربية فى ٢٤ مارس لرقابة تطوعية على الأنباء والصور والإذاعات المتعلقة

بالبواخر البريطانية التى تأتى لهذا البلد للتصليح أو التركيب أو إعادتها إلى ما كانت عليه وفقاً لشروط قانون الإعارة والتأجير.

ويبدو أن عذرهم كان مبالغاً فيه ، إذ أنه وفقاً لما كانت عليه الحال — وقرار إنجلترا فيما بعد — كان البريطانيون أنفسهم هم الذين أخرجوا مسرحية وصول الملايا إلى نيويورك للترويج لقانون الإعارة والتأجير .

وورد فى اليوم التالى رد فعل عجيب من واشنطن فقد أصدر وزير الحربية قراراً هاماً مدح فيه الجرائد واتحادات الصحافة والإذاعة التى قتلت قصة الملايا ولام الجرائد التى نشرتها وصرح — وهو لا زال معتقداً — بأن هذا النوع من الأعلام ذو قيمة عسكرية لا تقدر بالنسبة للألمان ، وفى رأيه أن الصحافة الأمريكية الحريصة على الروح الرياضية يجب أن تمتنع عن إعطاء أى إعلام بخصوص هذه البواخر لصالح أعداء بريطانيا وردت جريدة النيوز والتايمز هيرالد وبعض الصحف الأخرى بأن وصول الباخرة « الملايا» كان خبراً جديراً بالنشر ولم يك سراً ، وأضافوا — تحت رأى هيئة التحرير — بأنه فى الظروف الحالية إذا ترك تقدير نشر أو عدم نشر مثل هذه القصة للحكم الفردى لكل جريدة فسيؤدى ذلك إلى عدم إرضاء أحد عن

النشر ، لأنه إذا اتهمت السلطات جريدة بأن حكمها الشخصى خاطئ فستتعرض تلك الجريدة فى الحال للنقد وهجوم الرأى العام ، ولذا تقترح جريدتا النيوز والتايمز هيرالد بكل احترام ، على الحكومة بأن تنفذ رقابة رسمية وأن تصدر قرارات حاسمة وليس مجرد طلبات بالنسبة لما ينشر وما لا ينشر ، وعندئذ فقط ينجلى ذلك الموقف المائع .

وقد ذكر الجنرال « ريكاردسون » مدير مكتب العلاقات العامة للجيش الأمريكى وذو الأفق الواسع بصدد الرقابة العسكرية :

« إن الاتجاه فى وزارة الحرب نحو الرقابة هو أنه لن يكون هناك رقابة حتى فى زمن الحرب وسيضيق نطاق الرقابة فى ساحات القتال وهى مسئولية قائد الميدان وحده . »

وقد نادى « نوكس » وزير البحرية الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية برقابة تطوعية ، وأيده الرئيس « روزفلت » قائلا إنها نجحت فى الحرب الماضية ، وهذه الرقابة قد تكون أفيد من الرقابة الرسمية التى قد تتخطى حدودهد وتقيد حرية الرأى ، فقد قال نائب ألمانى أمام « الرايخستاغ » بعد الحرب العالمية الأولى :

« إن الرقابة العسكرية أضرت عسكرياً أكثر من كل ما كان يمكن أن تفعله الصحف الألمانية فيما لو كانت الرقابة قد رفعت كلية » .

إن الرقابة على الصحف لا تقطع أو تؤخر تسرب الأنباء للعدو ، فالعدو لا يعتمد بدرجة كبيرة فى أنبائه على الصحافة ، وهذا ما يثبت أن الرقابة التلقائية أفيد بكثير من الرقابة العسكرية التى تنفذ بقانون له قوة الجاذبية ، وتميل نحو الرقابة السياسية وتصبح وسيلة لكبت نقد العجز وعدم المقدرة فى الدوائر الرسمية .

إن المبدأ الذى يجب أن يسود ونتمسك بشدة به هو أن :

« تقتصر الرقابة العسكرية على الأسرار العسكرية فقط ، أما الرقابة للأسباب الأخرى كالصالح العام مثلا ، ذلك المخرج السهل كالحرص على الروح المعنوية ، فهو يعتبر تدخلا مباشراً وغير محتمل فى عمل الصحافة الحرة » .

الرقيب الحربى

لا تميل الدول إلى أن تطلع الصحفيين على أسرار الأزمات الداخلية ولا تفاصيل القوات العسكرية ، هذه الأشياء التى تعتمد اعتماداً كلياً على السرية والتكتم حتى لا تتسرب المعلومات

إلى غير الأمناء عليها فيلتقطها الأعداء والجواسيس وتسبب أضراراً بليغة فتضطر إلى فرض الرقابة العسكرية ، ولو أن هذه الرقابة التى تفرض لحماية الأسرار العسكرية قد تساء وتستغل لكبت الحريات وللأغراض الخاصة والانتقام من الخصوم ، إلا أنها أهون وأخف من أن يترك الحبل على الغارب ليؤدى ذلك إلى الإضرار بأمن الدولة وسلامتها .

وهذه الرقابة ليست مقصورة على الأنباء بالصحف ، بل هى أيضاً تشمل الرقابة على الإذاعة وكل ما ينشر بها ، كذلك الرقابة على المطبوعات فهى لا تقل أهمية وخطراً عن الرقابة على الصحف .

وكانت الرقابة على المطبوعات فى خلال الحرب العالمية الثانية عبارة عن أمرين :

الأول : فحص المواد المكتوبة أو المطبوعة وحذف مايعترض عليه وما يحظر نشره فيها .

الثانى : الحصول على المعلومات الهامة التى تساعد على مواصلة الحرب والواقع أن للرقابة على المطبوعات غرضين هامين هما :

- حرمان العدو من المعلومات التى يستفيد منها .
- التمهيد لاستغلال المعلومات القيمة التى تفيد جهود الدولة

فى الحرب .

أما إنشاء الرقابة بين القوات المسلحة وتنفيذها فأمرها هين نسبياً ، فالرقابة العسكرية تعنى أساساً بالخطابات التى يكتبها أفراد القوات المسلحة والأنباء التى يحررها المراسلون الصحفيون ، ولا ينتظر اكتساب معلومات ذات قيمة من هذا المصدر . فإن أهم ما تعنى به الرقابة العسكرية هو حذف أجزاء الرسائل التى تحتوى على معلومات عن العمليات الحربية المزمع القيام بها وتحركات القوات وأوصافها ونتائج عمليات العدو الحربية .

أما مراقبة مطبوعات ومراسلات المدنيين فهى عمل أخطر شأناً ، وذلك لأن السيطرة على المدنيين لن تكون مستحكمة الأطراف وروح النظام والطاعة بينهم متراخ ، ومراسلاتهم كبيرة الحجم تستلزم وجود طائفة كبيرة من المراقبين للاضطلاع بمراقبتها .

ولا تقتصر الرقابة العسكرية على ذلك بل هى أيضاً تشمل الرقابة على التلغرافات الواردة والصادرة من الدولة ، وكذلك على الأفلام التى تعرض على الجنود فى ميادين القتال للترفيه ولتقوية الروح المعنوية والتى تعرض بدور السينما للمدنيين حتى تبقى الجبهة الداخلية متماسكة سليمة .

والرقابة العسكرية فى الميدان يقوم بها ضباط من المخابرات

الحربية يلحقون بالتشكيلات العسكرية المختلفة ويزودون بالمعلومات اللازمة لقيامهم بعملهم ، ولا يوكل هذا العمل إلى المدنيين .

ويتلقى هؤلاء الضباط من إدارة المخابرات الحربية التعليمات عن كيفية تنفيذ الرقابة على جميع وسائل النشر والمطبوعات حسب سير العمليات الحربية فى جميع جهات القتال ، ولن أشرح هنا كيف يعمل الرقباء فى الميدان لأن هذا العمل من الأعمال الفنية العسكرية والتى لا يجوز نشرها أو كتابتها لغير الذين يشغلون وظائف رسمية فى القوات المسلحة تجيز لهم ذلك .

أما الرقابة على الصحف والإذاعة والأفلام والبرق فتخضع جميعها لرقيب عام يضع له مساعدين فى جميع دور النشر بمعدل واحد أو أكثر فى كل دار صحفية يتلقى تعليماته من الرقيب العام ، ويجوز أن تخول له سلطات محدودة فى النشر ، وفى أغلب الأحيان يكون هؤلاء الرقباء من العسكريين خصوصاً فى وقت الحرب حتى يمكنهم أن يقدروا قيمة المعلومات العسكرية التى يجب ألا تذاع أو تنشر ، ويجوز فى بعض الأحيان أن يتولى هذا العمل رقباء مدنيون بعد تزويدهم بتعليمات تمكنهم

من أداء هذا الواجب .

ويخصص عادة رقيب للإذاعة يراجع جميع البرامج التى ستذاع ويوافق عليها لإذاعتها ، كذا جميع الأحاديث ونشرات الأخبار ، وهو يتلقى تعلياته أيضاً من الرقيب العام .

أما الأفلام فتفحص بواسطة مراقبة الأفلام التى ترى الأفلام قبل عرضها وتكتب تقريراً بصلاحيتها للعرض أو عدمه .

كذلك يوضع رقيب فى وكالات الأنباء وفى كل من مصلحتى البريد والتلغرافات لمراقبة الخطابات والتلغرافات والإذن بتسليمها للمرسل إليهم ، كذا تنفذ الرقابة على التليفونات التى يحتمل أن تحمل أسلاكها معلومات تفيد القوات المسلحة .

ويجب على المراسلين الحربيين أن يلموا إلماماً تاماً بالقواعد الخاصة بإرشاد ممثلى الصحافة لتجنب الموضوعات التى يجب عدم الإشارة إليها بدلا من أن تعرض على الرقيب وتكون عرضة للمنع وتعطيل أعمالهم الصحفية ، ومهما كانت التعليمات الصادرة إلى الصحف والمراسلين لتلافى نشر الأخبار غير المرغوب فى نشرها فإن وجود الرقيب يجعلهم يتجاوزون عن اتباع التعليمات اعتماداً منهم على أن قلم الرقيب هو الذى سيحدد الموضوعات التي لا يجب نشرها ولا يصح الاعتقاد بأن المسئولية تقع

وحدها على الرقيب فقط بل هى مسئولية مشتركة بين الرقيب والناشر .

من هنا يتضح مدى ما يقاسيه ويعانيه الرقيب من مجهود كبير لمراجعة جميع النسخ والبروفات والصور والخرائط حتى يأذن بنشرها إذ يجب أن يكون الصحفى متبعاً بدقة عهد الشرف الصحفى الذى تحتمه عليه ممارسته مهنته وأن يكون له من ضميره وتقـــديره للأمور رقيباً على ما يكتب للصالح العام .

الرقابة بالتشريع

فى وقت السلم لا توجد عادة رقابة على الصحف إلا فى ظروف الأحكام العرفية للمحافظة على أمن الدولة وسلامتها ، ومع ذلك أمكن علاج موضوع نشر الأخبار العسكرية بالتشريع دون فرض رقابة عسكرية ، فقد صدر قانون لتكملة نص المادة « ٤٥ » من دستور ١٦ يناير ١٩٥٦ تقول :

« حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة وفقاً لصالح الشعب وفى حدود القانون » .

وهـــذا القانون المكمل للمادة « ٤٥ » ينص على الآتى :

« نشر الأخبار العسكرية وما يتعلق بها لا يجوز إلا بتصريح من وزير الحربية » .

هذا ما يجب أن يعرفه المراسلون الحربيون عن عمل الرقيب الحربى بالنسبة لنشر الأنباء العسكرية ومراقبتها .

ومن ألطف الأنباء فى الرقابة على الصحف ما حدث إبان الحرب العالمية الأخيرة عندما منعت الرقابة الأمريكية أحد الصحفيين من نشر مقال عن بحرية الولايات المتحدة لأن المقال يتضمن أسراراً عسكرية خطيرة ، ولكن الصحفى أثبت أن جميع المعلومات المنشورة فى المقال منشورة فى دائرة المعارف البريطانية التى توزع فى جميع أنحاء العالم ومنها ألمانيا وإيطاليا ، وكان الصحفى قد دبر هذه المكيدة ليثبت تعسف الرقابة .

ومن أغرب ما حدث فى تاريخ الرقابة ما قيل من أن « نابليون » أرغم الصحف على دفع مرتبات الرقباء الذين فرضهم عليها ، وكان الرقيب يتقاضى مرتباً حدده نابليون بـ ٤٨٠ جنيهاً .

ومن أحسن ما قيل فى الرقابة على الصحف قول البابا « إسكندر السادس » ، وهو من أوائل الروّاد فى الرقابة على

الصحف ، ينصح تلاميذه من أن الرقابة هى فن الكشف عن النوايا السيئة والمضللة .

والرقيب النموذجى هو الذى يكشف النوايا السيئة فى أى مقال — حتى لو لم يقصد الكاتب أية نية سيئة إطلاقاً .

شعار الرقيب ينبغى أن يكون « قص » فمهما قصصت من من المقال فإن الباقى يعتبر شيئاً كثيراً وأطول من اللازم ، ومهما قصصت من أخبار الجريدة فإنه يتبقى لديها أشياء أخرى كثيرة .

عندما يجد الرقيب كلمة لا تعجبه فليحذف الجملة كلها ، وعندما يشعر بأن فى المقال نوايا سيئة مستترة دون أن يهتدى إلى كلمة بالذات فينبغى عليه أن يحذف المقال كله .

من هذا يتضح أن ائتمان الصحفيين على الأسرار العسكرية لا زال أمراً صعباً — وأن الرقابة العسكرية فى وقت الحرب إجراء ضرورى لأمن الدولة وسلامتها .

الصفات الواجب توافرها فى المراسل الحربى

« شعار المراسل الحربى : الشعور بالواجب
والضمير الحى والإحساس بالشرف الرفيع »

يجب أن يكون المراسل الحربى ذا شخصية تحوز القبول وتوحى بالثقة إليه والاطمئنان إلى سماعه ، وهى غاية لا يصل إليها إلا من توافرت فيه صفات معينة فى النواحى الجسمية والنفسية والذهنية والخلقية .

فينبغى على المراسل الحربى أن يجمع إلى جانب لياقة المظهر لباقة الحديث ، وإلى دماثة الخلق سماحة الطبع ، وإلى رشاقة الجسم بشاشة الوجه ، حتى يشعر القوم الذين يتقدم إليهم أنه يكنّ لهم الود ، بينما يظل الواجب الأول له الولاء إلى أبعد حد ، وكم من مراسل حربى مهد سبيله بابتسامة تلازم شفتيه يأسر بها القلوب ويفتح أقفال الصدور .

ولا شك أنه إذا كان يعرف كيف يقود سيارة أو يمتطى جواداً أو يكتب على الآلة الكاتبة ، يكون نجاحه فى مهمته أكثر يسراً، لأن المناسبات التى تعرض له قد تحتم عليه أن يقود

سيارة أو يكتب بنفسه أو يعتلى صهوة جواد . أما ممارسة الألعاب الرياضية فهى تمهد له سبيل التعرف إلى شخصيات من الخير أن يتعرف إليها دون أن يبدو أنه يقوم بدور المستعلم ، والرياضة من أهم وسائل الاتصال الشخصى وأسماها فضلا عن مزاياها الصحية . أما الصفات النفسية فأولاها أن يكون ذا شخصية قابلة للتطبع والتكيف ، فإذا انتقل فجأة إلى عالم عسكرى أجنبى ، وجب عليه أن يألف الوسط فى كل الظروف وأن يكون لطيف المعاشرة، حسن المخالطة ، متزناً ، ذا فطنة نافذة وبداهة موفقة ، كما أن الحياة التى يحياها خارج بلاده أحياناً قد تتطلب كثيراً من الصفات الذهنية ، فينبغى أن يكون مثابراً على الاطلاع ذكياً متحفظاً مستنيراً مرناً دقيقاً متتبعاً للتطورات العسكرية التى تجرى فى جيش بلاده وفى جيوش العالم بوجه عام إذا أمكن .

وإذا لم يكن المراسل الحربى ملماً بلغة أجنبية فلن يحالفه التوفيق فى النهوض بواجباته إلا بالقدر المحدود ، فعليه أن لا يدخر جهداً ولا وقتاً حتى يتعلم لغة البلاد التى سيعمل فيها بطلاقة تامة ، وعن أن تمتد معرفته إلى اللغة العامية ومصطلحاتها والقاعدة التى يجب أن يضعها المرء نصب عينيه ، هى أن إتقان أى لغة أجنبية لا يتم إلا بممارسة التكلم بها كثيراً فى غير تهيب من

التورط فى الأخطاء .

يجب أن يكون المراسل الحربى على درجة ثقافية كبيرة يستطيع بها أن يستوعب فى سرعة وحسن إدراك ميزات الجيوش الأجنبية الرئيسية ، وأن يشترك فى النقاش العسكرى مع ولاة الأمور الذين يخالطهم .

كما يجب عليه أن يكون دقيق الملاحظة ، وهو فى ذلك كالشرطى أو المخبر الصحفى الذى يجب أن يكون يقظاً ليل نهار يلاحظ ويسجل كل ما حوله مما له مساس بعمله فإن تقديره للمنشئات العسكرية فى البلد الأجنبى ليقاس طبقاً لمدى معرفته بنفس المنشئات المماثلة فى بلاده .

يجب أن تتوافر لدى المراسل الحربى قوة الملاحظة فى نظرته للأشخاص والأشياء ، مع القدرة على الإعراب عنها كتابة فى وضوح وجلاء ، وأن يكون ذا ذاكرة تعى الأرقام وتختزن الحقائق ، فإن القدرة على الملاحظة الدقيقة لا غنى عنها ، كما أن الدقة فى حفظ ما يودع منها فى الذاكرة عظيم الأهمية ، وفائدة التقارير تقوم على دقتها التى لم يمسها التحوير والتغيير ، فلكى تسمع وتحفظ ثم تؤدى أو تدوّن ما سمعت من محادثات هامة ، يتطلب ذلك مرانة ذهنية ممتازة . ولا بد للمراسل الحربى

أن يعرف كيف يستعمل الكاميرا والفلاش حتى لا يسحب وراءه فى الميدان مصوراً خاصاً لكى يصوّر مناظر الجبهة التى سيسمح بنشرها فى الصحف فالصور نوع من الأخبار ، والصورة أياً كان نوعها تعتبر خبراً بصرف النظر عما يكتب تحتها ، فقد تكون تعبيرية موضحة يفهم منها كل شىء فوراً ، حتى إن الرقباء العسكريين فى الحرب يشطبون كثيراً من هذه الصور ولا يسمحون بنشرها .

ومن الأنباء الطريفة فى ذلك ما منعت الرقابة الفرنسية نشره وكان عبارة عن رسم لشمامة ناقصة كتب تحتها « مسيو س » أرادت مجلة لى كاليبس نشره ، فلما سأل رئيس التحرير عن السر فى منع النشر ، قال الرقيب إن شكل الشمامة يشبه الرقيب العام .

كما أمرت الرقابة الفرنسية فى عام ١٨٧٣ بحذف كل ما يكتب تحت الرسوم الكاريكاتورية فى مجلة اليستراسيد الفرنسية ، فلم تجد المجلة وكل موضوعاتها رسومات إلا أن تنشر الرسومات وتعلن من مكافأة مالية لكل من يفهم معنى الرسم ، وما كانت الصحيفة تريد كتابته تحته .

والمفروض أن المراسل الحربى أساساً يقوم بمهمة نقل

الأخبار العسكرية إلى خارج جبهة القتال إلى المدنيين الذين لا يعلمون من المعلومات العسكرية الفنية غير القشور ، لذا لا بد من تدريب المراسلين الحربيين قبل قيامهم بمهمتهم حتى يمكنهم أن يلموا بالتنظيمات الأساسية وبطريقة العمل فى الميدان حتى يمكنهم أن يعرفوا مع من يتعاملون وكيف يحصلون على وسائل تنقلهم وإعاشتهم فى الميدان ، كذا كيفية تدوين رسائلهم ومراقبتها وإرسالها للجهات التى يمثلونها والتصرف فى حالة الإصابة أو الوقوع فى الأسر فى أيدى الأعداء ، كذا كيفية الوقاية أثناء التحرك وفى الغارات الجوية وكيفية السير بالبوصلة فى حالة فقد الاتجاه .

وعلى أى حال يستحسن أن يكون المراسل الحربى من بين الضباط المتقاعدين فى سن مبكرة أو من ضباط الاحتياط الذين ليسوا فى الخدمة وقت الحرب أو من غير المتوقع استدعاؤهم للقيام بمهمة حربية قريبة ، فهم أفيد على أى حال من تدريب مدنيين لهذا الغرض ، ولو أن المدنيين سيمتازوا فى هذه الحالة إذا كانت لهم الرغبة فى ذلك بوجود الروح الصحفية وإلمامهم بمهمة الصحفى على وجه أفضل من ناحية الحاسة الصحفية لانتقاء الأخبار وصياغتها بما يتفق والذوق المدنى الذى سيشبع رغبة

القارئ ، وسيعمل على إرضا الجبهة الداخلية ، لأن الكتابة العسكرية مادة جامدة قد لا يهضمها القراء من المدنيين ، وأعتقد أن الثورة المصرية لا بد وأنها ستخرج إلى حيز الوجود مشروع إدخال نظام المراسلين الحربيين فى الصحافة المصرية ، وفى هذه الحالة يمكن الاستعانة بالأفراد الذين جمعوا بين الثقافة الحربية والثقافة الصحفية فى قسم الصحافة بالجامعة .

وعموماً يجب أن يكون المراسل الحربى لائقاً للقيام بعمله وضبط النفس الذى يحفظ له هدوء نفسه ومسلكه ويعصمه من إغراء الغيظ والضعف ، ويجب أن يتصف بالشجاعة المعنوية والمادية ، فقد تحدث له حالات يجازف فيها بمحبة الناس به وبمركزه فى صحيفته ، وليكن شعاره دائماً :

« أنا لا يبهرنى شىء ولا أرهب شيئا »

وثمت صفات يجب التحلى بها كالشعور السامى بالواجب والضمير الحى والإخلاص والوفاء والإحساس بالشرف الرفيع .

الخاتمة

« عقول الرجال على أسنة أقلامهم قبل أن تكون على أسنة رماحهم »

نشأت الصحافة العسكرية مع ميلاد الجيوش ، وليس بين أعلام القادة أو أبطال الحرب من يستطيع أن يتغافل عن أثر الصحافة وفعلها السحرى فى التوجيه والمعرفة ، فهى إلى جانب نشر الموضوعات العسكرية تنشر أحداث السياسة الدولية وأنباء المعارف المبتكرة والمكتشفات الحديثة .

وإذا أردنا أن نعرف تقدير القادة العظام فى التاريخ للصحافة ، فحسبنا أن نذكر قول رجل من رجال ألمانيا رفعته مكانته إلى منصب رئاسة الدولة بعد أن بلغ منصب قيادة الجيش ، هذا الرجل هو الفيلد مارشال « هندنبرج » إذ قال لضباطه فى معرض الحديث عن الأعداء :

« لا أريد منكم أية معلومات عنهم ، فقط أرونى صحفهم ومجلاتهم ، أحكم على رجالهم ومعداتهم . »

وإذا كنت قد أوضحت فى هذا الكتاب الواجبات الأساسية للمراسل الحربى الذى يعمل فى ميدان القتال أثناء الحرب وما

يتعلق بمهمته لا أود أن أغفل أثر الحرب على الصحافة ومن يعمل فيها بوجه عام إذ أن الصحافة تتأثر تأثراً كبيراً بالحروب التى تحتم توجيه المجهودات الإنتاجية إلى النواحى الحربية ، وإن انشغال القوات المسلحة بالعمليات الحربية قد لا يتيح للجنود الفرصة الكافية لقراءة المجلات العسكرية سواء كانت فنية أو عامة ، ولذلك تتجه الصحف العسكرية أيام الحرب إلى تخفيض عدد صفحاتها ، بل وتقلل طبعاتها وتوزيعها ، لا سيما إذا كانت خاصة بالقوات المحاربة عبر البحار ، ويرجع ذلك إلى صعوبة الشحن وشغل السفن بنقل المواد الحربية كالذخائر والمؤن والمعدات ولانشغال محرريها بالعمليات الحربية .

وكما أثرت الحرب فى الإنتاج الأدبى لكبار الكتاب فى العالم ، كذلك أثرت فى نوع الصحف التى تصدرها إدارات الشئون العامة للجيوش ، ولا يقصد بهذه الصحف جنسيات معينة من الجنود أو تكون وقفاً على قطر دون آخر ، ولكنها تحرر للجنود عامة وتوزّع حيثما تحتشد الجيوش فى أى ميدان من ميادين القتال ، ولذلك تكون نادرة التوزيع فى بريطانيا وأمريكا ، فهى لا تهمّ القراء هناك ، ولكنها توزّع فى الشرقين الأدنى والأوسط حيث يتجمع الجنود .

وأن هذه الصحف لا علاقة لها بالدعاية ، فإن إدارات الشئون العامة التى تقوم بإصدار نشرات وكتيبات خاصة للدعاية تصوّر فيها ضعف روح العدو المعنوية أو افتقاره إلى المواد اللازمة للمجهود الحربى . . . إلخ .

أما الصحف التى توزع على الجنود فهى تقدم لهم خدمات جليلة ، كأن تلخص لهم الأنباء المختلفة عن الأقاليم التى جاءوا منها وأخبار عائلاتهم ومدنهم التى خلفوها وراءهم ، كما أنها تنقل — فى نفس الوقت — للمدنيين أخبار أبنائهم الجنود وصوراً من حياتهم وتضحياتهم فى الميدان ، وهكذا تتخلى تلك الصحف العسكرية عن روحها العسكرية الخالصة .

بينما نجد الصحف العادية المدنية تنقلب إلى صحف شبه عسكرية فتترك الأنباء العادية وتملأ صفحاتها بأخبار المعارك الدائرة ونقد الخطط العسكرية والتعليق على الأنباء والانتصارات والهزائم ، ومن هنا بدأت أهمية المراسل الحربى وخطورة مركزه ، فهو الصحفى الذى توفده الجريدة إلى الخطوط الأمامية ليوافيها بأخبار الجبهة .

وهنا أيضاً يبرز عمل الرقابة العسكرية وأهميته القصوى ، فهى التى تحمى الجيش من تسرّب الأنباء العسكرية إلى

الصحف التى يفيد منها العدو الذى يحاول دائماً أن يحصل على نسخ منها بأى وسيلة .

وأن للحرب تأثيراً آخر على الصحف المدنية لا سيما إذا كانت تصدر فى دولة مشتركة فى الحرب ، فإن عدد صفحاتها يقل ، وتبعاً لذلك يقل عدد الموضوعات التى يمكنها أن تعالجها .

ولقد أصابت الحرب العالمية الثانية الجرائد بضربتين ، أما الضربة الأولى فهى انخفاض الدخل ، فإن الحرب تؤدى إلى ارتفاع الأسعار ، ولقد ارتفعت أجور العمال وأسعار المواد الخام ارتفاعاً عظيما ، ولم تكن محاولات الحكومة لتثبيت بعض الأسعار كافية لإيقاف ارتفاع تكاليف الإنتاج لتعود إلى ما كانت عليه قبل الحرب ، ولم يكن ميل الأسعار الصعودى مما يدعو إلى الانقباض كالخسارة فى دخل الإعلانات التى تعتمد عليها الصحف اعتماداً كبيراً .

كانت الحرب العالمية الثانية حرباً شاملة اختلفت عن أى حرب سابقة فقد حوّلت صناعات كاملة مدنية إلى مصانع لعمل الذخائر ولوازم الإمدادات والتموين ، وأن مصانع « كريزلر » للسيارات التى كانت تصنع عربات « بلايموث » و « دى سوتو » و « دودج » و « كريزلر » وتنفق الملايين على

الإعلانات سنويا ، أصبحت فى وقت الحرب تقوم بعمل الدبابات التى لا تحتاج إلى إعلانات لأن سوقها – وهو الجيش – فى غير حاجة إلى ما يلفت نظره إليها ، والمصانع التى كانت تنتج عربات « بونتياك » أصبحت تنتج المدافع ، وهكذا تحوّلت صناعة السيارات إلى إنتاج للمجهود الحربى ..

وتوقفت مصانع المطاط عن عمل الإطارات للمدنيين ، فأصبح الشخص فى حاجة إلى الحصول على ترخيص من الحكومة ليشترى إطاراً من المطاط ، ولم يكن يعطى هذا الترخيص إلا للمدنيين الذين يؤدون خدمات لازمة للمجهود الحربى ، والدولة فى حاجة إلى تسيير عرباتهم لهذه الغاية ، أما من عداهم فعليهم إما أن يسيروا على الأقدام أو أن يحصلوا على عربات قديمة مستصلحة إذا تمكنوا من إقناع ذوى الأمر المحليين بحاجتهم الفعلية إليها ، أما الأشخاص العاديون فلا يمكنهم الحصول على الإطارات المطاط بتاتاً .

وهكذا أصبحت مصانع « فايرستون » و « جوديير » ومطاط الولايات المتحدة فى غير حاجة إلى الصفحات الكاملة التى كانوا ينشرون فيها إعلاناتهم بالجرائد كى يعلنوا للجمهور أنهم لا يستطيعون أن يبيعوا لهم الإطارات .

وهكذا أخذت المصانع المدنية تتحوّل الواحد فى أثر الآخر إلى الصناعات الحربية ، وكثير من الشركات التى سمح لها بالاستمرار فى الصناعات المدنية فرضت عليها قيود شديدة للحد من إنتاجها كنتيجة لظروف الحرب القاسية مما جعل البضاعة المعروضة للبيع للجمهور تقل لدرجة أنه لم تعد هناك حاجة للإعلان عنها ، وقد بلغت قيود الحرب التى أعلنتها الحكومة حدًّا كبيراً لدرجة أنها منعت بيع البنطلونات ذات الثنيات السفلى ، فإن بضع السنتيمترات من القماش التى تحتاجها هذه الثنية أصبحت أكثر قيمة من أن تستعمل كمجرد حلية للبنطلون ، ومع ذلك لم تكن الأسعار المرتفعة والدخل المنخفض إلا ضربة واحدة من الضربات التى أصابت الجرائد .

أما الضربة الثانية فكانت على صورة ضغط على المخبرين الصحفيين ، ففى الشهور التى سبقت إعلان الولايات المتحدة للحرب تمسك المحررون بشدة بتلك الحكمة القديمة ألا وهى حكمة « الموضوعية » (Subjective) والحياد وقد حصلت الـ A.P. وU.P. من أوروبا على قصة إحدى المعارك الحربية وهى قصة حكومة قد مزقت جيش أعدائها تمزيقاً ، وقد تكون تلك القصة صحيحة ١٠٠٪ أو تكون أكثر قليلا من مجرد أمنية ،

وقد وضع المحررون تلك القصة تحت عنوان « قال شخص ما » بدلا من أن تكتب على أنها حدثت فعلا ، وهكذا أصبحت العناوين الكبرى تشمل ألفاظ « برلين تدّعى » أو « موسكو تقول » بدلا من أن تذكر قصص المعارك على أنها حقائق لا شك فيها .

ولكن بمجرد دخول الولايات المتحدة الحرب انقشعت « الموضوعية » فقد كان مما يناقض الوطنية أن تخفف حكاية غرق سفينة يابانية إذا كتبت بعنوان « واشنطن تقول » ، وكذلك ألغيت العبارات التى تورّط الرجال الرسميون فى حكومات الحلفاء واعتبر المحررون تعليقات موسكو أو لندن أو هونج كونج صحيحة وصادقة دائماً ، ولم يعد أحد يدرى إلى أى مدى يمكن أن تذهب الجرائد فى تعضيدها لأعمال حكوماتها الحربية ، وأخذ بعض المحررين يتساءلون عما إذا كان يجب عليهم أن ينشروا قصة تدل على قسوة النازيين ، رغم أنها قد تكون حقيقية وقد لا تكون ، وذلك كى يساعدوا على إقناع الخبراء الأمريكيين بخطر أعدائهم ، وذهب بعض المحررين إلى أنه يجب على رئيس التحرير أن يقول بصراحة إن القصة وردت من مصادر لا تميل إلى النازيين ، ومن المرجح أنه بولغ فيها قليلا ، ومن

ثم ينشرها فى مكاد داخلى غير ظاهر ، وربما تمضى سنوات طوال والصحفيون لا يزالوان يتجادلون حول المدى الذى تذهب إليه الصحف فى قبول ادعاءات حكوماتها أثناء الحرب بغير مناقشة ، وقد أثر هذا الموقف على المخبرين الصحفيين تأثيراً مباشراً فكان « توم » محرر « التلجراف » يلقى جانباً بألفاظ « يقال » أو « جاءنا » التى تبعث على التشكك فى مصدرها مفترضاً أن هذا التشكيك لا داعى له وقت الحرب ، فأخذ المحررون يكتبون حكاياتهم الحربية دون أن ينسبوها إلى أى من الرجال الرسميين ، لا سيما المواضيع التى كانت فى غير صالح الحلفاء ، فبدلا من أن يقولوا مثلا « قال جونسون المستشار الصحفى : إن الرئيس التزم مكتبه أربعة أيام فقط من العشرين يوم عمل الأخيرة » فيتجاوزون عن عبارة « قال جونسون » ويترك هذا الخبر كما لو كان أمراً واقعياً أكثر منه ادعاء ، ولم يستطع بعض المخبرين الصحفيين أن يفرقوا بين بلاغات واشنطن الرسمية عما فعله الجيش الأمريكى فيما وراء البحار والأحاديث التى يأخذونها من الساسة المحليين ، وفضلا عن ذلك فقد كانت هناك حرب داخلية بين المحررين ورؤساء التحرير ، فبينما كان هؤلاء الأخيرين يميلون إلى إفساح المجال لأخبار رجال حكومات

الحلفاء ونشر بياناتهم كوقائع ، إذا بالأولين يتمسكون « بالموضوعية والحياد » فيما يتعلق بالمسائل الخارجة عن نطاق الحرب .

وقد كان لقصص الفظاعة والوحشية التى يرتكبها جنود الأعداء أثر كبير فى دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى .

ولقد دلت الأبحاث التى تمت على الموضوعات التى نشرتها الصحف على أن قصص الفظاعة الفعلية كانت قليلة أو نادرة ، ولكن الأخبار التى نشرت الجرائد جانبها الفظيع كانت كثيرة جداً ، فنجد مثلا أن أحد المحررين قد حصل على خطابات أحد الجنود الأمريكيين التى كان يرسلها لوالدته ، فقام بنشرها فى جريدته وقدمها للقراء على أنها حقيقة ما يحدث فى الميدان وليس على أنها مجرد وجهة نظر شخصية لأحد الجنود قد تكون صادقة أو مبالغا فيها .

ونشر محرر آخر فقرة من خطاب أحد الجنود جاء فيها :

« وقامت الجيوش الألمانية بصلب أسرى الحرب على الأشجار ومزّقت أجسامهم بالسونكيات . . . » وغير هذا من الأعمال الوحشية التي لا يمكن للقارئ العادي تصديقها لو لم

يورد المحرر فى نهاية الخبر اسم الجندى وعنوانه . وأن طريقة عرض الخبر بهذه الصورة فى أيام الحرب العصيبة ليدعو القارئ إلى تصديقه والسخط على وحشية المحور ، ولكن ذلك الخبر لم يكن يمثل الحقيقة تمثيلا صادقاً ، إذ أن ما جاء فى الخطاب فعلا كان :

« لقد سمعنا أن الألمان يصلبون أسرى الحرب ، ومع أنى لم أر شيئاً من هذا بنفسى ، إلا أنى سمعت أن فرقة أخرى وجدت جندياً مصلوباً فى أحد المناطق الحربية التى كنا فقدناها منذ بضعة أيام . . . »

وواضح جداً أن ماجاء فى الخطاب مختلف كل الاختلاف فى مدلوله عما جاء فى الخبر الذى نشر ولم يكن ذلك على سبيل التضليل ، ولكنه مجرّد مبالغة من بعض المحررين لجأوا إليها أثناء الحرب لضمان تأثير أخبارهم على القراء .

كانت الجاسوسية والطابور الخامس من أهم أسلحة المحور فى الحرب الماضية ، لذلك كان على الجرائد أن تكون شديدة الاحتراس فى معالجة كل ما يتعلق بالجاسوسية ، فقد كانت أقل شبهة تلصق بأحد الأفراد تثير له متاعب لا حدّ لها ، رغم أن رجال الأمن الأمريكيين كانوا على جانب كبير من

الحرص والمهارة والدقة ، إلا أن نشر أخبار غير صحيحة أو مغرضة عن أى شخص يمت اسم عائلته إلى جنسية أصبحت بغيضة بسبب الحرب يكفى كى يكون سبباً فى متاعب كبيرة له .

وكان من نتائج الكتابة اليومية عن أنباء الحرب أن اتجه المحررون إلى استعمال الألفاظ الحربية بإفراط فى الرسائل الواردة من أوربا وآسيا ، بل إن هذه الألفاظ قد اقتبست من حكايات لا علاقة لها بالحرب مما يؤدى إلى أخطاء فى فهمها ، وكانت على الأقل تدل على ذوق غير سليم ، فمثلا كتب أحد المحررين :

« لقد قامت كنيسة الجنوب التذكارية فى الليلة الماضية بهجوم شامل ، عندما اجتمع أعضاؤها لاقتناص ٨٥٠٠ دولاراً كى يطفئوا بها ديون الكنيسة » .

واستعمل المحررون لفظ « نسفت » فى وصف المحال التجارية التى أفلست ، وأطلقوا على الساسة الذين يحملون على منافسيهم بشدة لفظ « أغاروا » وسموا كل جماعة من ثلاثة أو أكثر أنهم « تجمع » .

ولقد فهم بعض المحررين أن الحرب يجب أن تطغى أنباؤها على كل ما عداها لدرجة أنهم لم يعودوا يقيمون أى وزن لشئون الحياة العادية ، ولم يكن ذلك التصرف منهم حكيماً ، فإن الحياة

المدنية ستظل دائماً كبيرة الأهمية، فهى الحلقة التى تصل بين السلم الحرب ، بل على الصحافة أن تقوم بواجبهـــا فى تمهيد السبيل للجنود أن يعودوا إلى حياتهم المدنية العادية دون أن يشعروا بفارق كبير بين حياة الحرب وحياتهم اليومية ، ولذلك أصدر أحد رؤساء التحرير أمراً للمحررين بأن يعتنوا بالأخبار المحلية التى كانت أيام السلم تنشر تحت عناوين صغيرة فى الصفحات الداخلية وذلك بأن يضعوها فى الصفحات الأولى تحت « مانشيتات » عناوين كبيرة .

وإنى إذ أختتم هذا الكتاب عن هذا العمل الصحفى العسكرى لا يفوتنى أن أنوه بفضل الحركة الفكرية فى الجيش التى كان الفضل الأكبر رغم حداثتها فى ظهور ألوان شتى من التراث الحربى هذه الحركة التى واجهت كثيراً من صعاب الظروف والأفراد .

إن وثبة الجيش الكبرى التى أثرت فى نظم الحكم وفى مجرى المعيشة إن هى إلا نتيجة للمدى الذى بلغه المستوى الفكرى بين رجال الجيش وتبادل المعرفة على أوسع نطاق وتلاقى المشاعر والآراء .

لم يكن الكتّاب العسكريون إلا قلة بين رجال الحرب ، ومن هنا لا بد من أن يتكرر اسم الواحد منهم فى أكثر من كتاب وأكثر من بحث ، وإن كان هذا لا يحول دون الاعتراف

بأن هذه الفئة القليلة من الأقلام التى تفاوتت مقدرتها وتنوّعت أساليبها وبلغت بينها روح المنافسة مبلغاً مثيراً قد حملت العبء على جسامته وسط مدّ التقدّم وجزر الرجعية ، ورفعت لواء نشر المعرفة بين الصفوف رغم ما أحاط أصحابها من الظروف المحدودة والإمكانيات المتواضعة .

إن فضل هؤلاء يحمد لهم ويتضاعف كلما ذكرنا أنهم بذلوا من أنفسهم وأموالهم ، بل من حياتهم وقوتهم ، قدراً كبيراً فى دفع جمهورهم إلى القراءة والحض على الثقافة ، وقد ظلت بضع أسماء تكاد لاتتغير تتولى حركة النشر الحربى حتى ظن البعض — بحق أو بغير حق — أنه لون من الاحتكار ، وظل لفيف معين من القرّاء وليس كافة القراء يتابع هذه الحركة ويفيد من تلك الجهود نزولا على خطوات عمله أو خطوات حياته .

وما لبثت سمة أخرى أن تلاشت وهى الامتياز الذى أفضى إليه التفرّغ الطويل والموهبة الكامنة مما كان يرفع بعض المفكرين العسكريين إلى درجة « الأساتذة » ويهبط بالقراء إلى مصاف « الطلبة » وانفتح الباب على مصراعيه .

ومع ذلك لا تزال المكتبة العسكرية فى حاجة ماسة إلى

ملء فراغها الشاغر بصورة كاملة من صور الإنتاج المنظم فى جميع أنواع الكتابة العسكرية ، وأودّ قبل أن أنتهى من هذه الخاتمة أن أتمهل قليلا لأفكر فيما إذا كان من الممكن أن ينجح الكتاب العسكريون الأفذاذ كالقادة فى ميادين القتال ، فى الواقع أن الناس يحتفظون فى تقديرهم للكتّاب العسكريين الأفذاذ الذين ينشأون فى صفوف القوات العاملة ثم ينصرفون إلى التأليف والتحرير ، وهم لهذا وإن كانوا لا يشكون فى قدرتهم العلمية يشكون فى قدرتهم العملية . ولكنى أقول إن كثيراً من أساطين الكتاب العسكريين الذين نشأوا بين صفوف القوات المسلحة فترة طويلة إذا امتازوا بسرعة الخاطر وصائب التقدير والنشاط والشعور بالواقع واللياقة البدنية ، يمكنهم الانتقال بأفكارهم العسكرية إلى مرحلة التنفيذ العملى بنجاح يعادل نجاحهم فى صياغتها .

وإنى حينما أنتهى من هذا الكتاب أشعر بمتعة نفسية لا تعادلها متعة وأتمنى أن تخرج الثورة — التى عشت فيها أسعد لحظات حياتى — مشروع المراسلين الحربيين إلى حيز الوجود وأن يكون رأس الحربة فى الثورة الفكرية التى تعتمد على الرأس والقلب والقلم .

فهرست

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨